تأمـــلات
في سـورة الماعـون

إعداد

الدكتور/ رفعت عبد الظاهر مبارك

الأستاذ المساعد ورئيس قسم التفسير
وعلوم القرآن بالكلية

المقدمة:

الحمد لله أنزل كتابه ليتدبر، وكلامه ليفهم، وشرعه ليقام، وفرائضه لتؤدي وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وعد المقيمين لشريعته، والمؤدين لفرائضه بالأجر الكبير والفوز العظيم، وتوعد الغافلين المرائين بالويل المبين، والهلاك العظيم وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله وخيرته من خلقه وحبيبه بلغ الرسالة وأدي لأمانة، ونصح الأمة وتركها علي المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يسلكها إلا منيب سالك اللهم صلي وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإنه من المعلوم أن القرآن الكريم معجزة الدهر أنزله الله هدي ونوراً على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد الله - ﷺ- للناس كافة قال تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَـكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَىَ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [1] وأنزل الله القرآن الكريم مهيمنا [2] على كل ما نزل قبله من الكتب قال عز وشأنه: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ﴾ [3] الآية ولهذا

---

(1) سورة الشوري الآية (٥٢).

(2) مهيمنا المهيمن الرقيب، وقيل الحافظ، وقيل الغالب المرتفع وقيل الشاهد وقيل المؤتمن إلى غير ذلك من الأقوال تفسير الشوكاني جـ٢ ص ٧٠ط/ دار الفكر بيروت-لبنان، والمعجم الوجيز ص ٥٧ ط، وزارة التربية والتعليم بمصر.

(3) سورة المائدة الآية (٤٨).

كان آخر وحي الله إلى خلقه، وكان دعوة عالمية، وحفظه الله من التحريف والتبديل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١)

ومن المعلوم أيضاً أنه لم يكن كتاب على ظهر الأرض خدم البشرية مثل القرآن لكريم فكل ما سطره أو كتبه علماء المسلمين في شتي أنواع المعرفة، وما يسطره العلماء في الحاضر والمستقبل يتناول بوجه عام فهم القرآن الكريم وتجلية أحكامه وشواهد إعجازه.

كما أن لهذا القرآن أثر في حياة البشرية تأثيراً لم يضارعه فيه كتاب آخر، وتكفي الإشارة إلى أن التقدم العلمي الذي تنعم به الإنسانية في العصر الحاضر هو بعض آثار القرآن الكريم، ونتيجة للقيم والمثل التي دعا إليها وآمن بها المسلمون وكانوا في حياتهم صورة طيبة عملية بصرف النظر عن انحراف الحضارة المعاصرة عن الطريق المستقيم فلهذا لانحراف أسبابه التاريخية المعروفة، ولمنزلة القرآن الكريم في نفوس المسلمين كان حرصهم البالغ في الإقبال عليه حفظاً وتلاوة ودراسة وفهماً والعمل بأحكامه وآدابه فلا غرو أن تعددت المؤلفات وكثرت الدراسات التي اهتمت بهذا الكتاب العظيم تأملاً وفهما ودراسة وتطبيقاً لأنه الكتاب الخالد إلى أن تقوم الساعة.

ومن هنا أردت أن أسلك مسلك الدارسين لهذا الكتاب والمتأملين فيه والمتمسكين به عسى الله أن يجعلني منهم إنه ولى ذلك والقادر عليه. فاخترت بعد اختيار الله تعالى أن اكتب بحثاً بعنوان: **"تأملات في سورة الماعون"**

---

(١) سورة الحجر الآية (٩).

وهذه التأملات ستكون بعون الله تعالى على الوجه التالي:

تمهيد بين يدى سورة الماعون ومبحثين

أما التمهيد فأتناول فيه:

- اسم السورة.
- ترتيبها حسب النزول والمصحف.
- زمان النزول.
- مناسبتها لما قبلها ولما بعدها.
- عدد آياتها وكلماتها وحروفها.
- سبب نزولها.
- أهم مقاصد السورة.
- عرض عام للسورة الكريمة.

أما المبحثان فهما:

١- التكذيب بالدين وما يترتب عليه وعاقبته من قوله تعالى: ﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ* فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلاَ يَحُضُّ عَلَىَ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ﴾ الآيات ١-٣.

٢- الوعيد بالويل للساهين عن صلاتهم والمرائين ومانعي الماعون من قوله تعالى: : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ الآيات ٤-٧.

هذا وبالله التوفيق

اسم السورة:

من الواضح أن السورة تسمي بفاتحتها أو بأبرز شيء فيها فسورة "الماعون" سميت بهذا الاسم لأنه ذكر فيها لفظ الماعون، وذهب إلى هذه التسمية الإمام بن كثير في تفسيره.[1]

ومن المفسرين من أطلق عليها أسماء أخرى غير سورة الماعون فمما ذكره الطبري في تفسيره سورة أرأيت [2]، وكذلك قال الإمام الألوسي: "تسمى سورة أرأيت والدين والتكذيب".[3]

ومما ذكره أيضاً صاحب فتح القدير حيث قال: "تفسير سورة أرأيت ويقال سورة الدين ويقال سورة الماعون ويقال سورة اليتيم"[4] ،ويقول الطوسي كذلك في سورة الماعون وتسمي سورة "أرأيت".[5]

ويتضح مما سبق أنه لا خلاف بين المفسرين في وجه تسمية هذه السورة فمن أطلق عليها سورة "أرأيت" حيث جعل التسمية بفاتحتها، ومن أطلق عليها غير هذا كما ذكر جعل التسمية بأبرز شيء فيها فسماها مثلاً بسورة الماعون، أو الدين أو اليتيم أو التكذيب إلى غير ذلك مما سبقت الإشارة إليه فكلها مسميات تطلق علي سورة الماعون ولكل من هؤلاء المفسرين وجهة نظر في التسمية كما ذكر أن أولئك الذين ذهبوا إلى تسميتها بأكثر من اسم يرون أن أسماء السور بالاجتهاد أما الذين أطلقوا عليها

---

(1) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٥٩٢ ط، دار المعرفة بيروت- لبنان.

(2) تفسير الطبري جـ١٢ ص٢٠٠ ط، دار الريان للتراث بالقاهرة.

(3) تفسير الألوسي جـ٢٩-٣٠ ص ٢٤١ط، دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان.

(4) فتح القدير للشوكاني جـ٥ ص ٧١١ ط، دار الفكر بيروت- لبنان.

(5) التبيان في تفسير القرآن للطوسي جـ١٠ ص٤١٤ ط، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.

اسماً واحداً فيذهبون إلى الرأي القائل بأن أسماء السور توقيفية وذكر هذين الرأيين السيوطي في الإتقان فقال: "وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار، ومما يدل على ذلك ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عكرمة قال كان المشركون يقولون سورة البقرة وسورة العنكبوت ويستهزئون بها فنزل ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ [1] وفي الصحيح عن ابن مسعود أنه قال هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة [2] ومن ثم لم يكرهه الجمهور هذا إشارة إلى الرأي الأول وهو القول بالتوقيف.

ثم ذكر الإمام السيوطي أيضاً فقال قد يكون للسورة اسم واحد وهو كثير وقد يكون لها اسمان فأكثر من ذلك الفاتحة وقد وقفت لها علي نيف وعشرين اسماً وذلك يدل على شرف المسمي، ومما ذكره أيضاً "أرأيت" تمسي سورة الدين وسورة الماعون[3].

وهذا إشارة إلى الرأي الثاني الذي يرى أصحابه أنه قد يكون للسورة الواحدة اسم فأكثر، والله أعلم.

ترتيبها حسب النزول والمصحف:

إن الذي يطالع القرآن الكريم ويتأمله بتدبر وإعمال فكر وإمعان نظر يري أن لكل سورة من سور القرآن الكريم ترتيباً خاصاً من ناحية النزول وآخر من ناحية مكانها في المصحف فسورة الماعون نزلت بعد التكاثر، وأما ترتيبها في المصحف فهي السابعة بعد المائة في ترتيب المصحف، وهي سورة "قريش" وقبل سورة "التكاثر" هذا هو ترتيبها في المصحف العثماني، ولا يخفي أن ترتيب السور في المصحف توقيفي على

---

(1) سورة الحجر الآية (٩٥).

(2) صحيح البخاري كتاب الحج باب رمي الجمرة من بطن الوادي جـ١ ص٢٦٥، ٢٦٦ط ، البهية ومسلم بشرح النووي كتاب الحج باب رمي جمره العقبة من بطن الوادي جـ٩ ص٤٨ حديث ٣١١٨، ٣١١٩.

(3) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ١ ص٥٢-٥٥ ط، المكتبة الثقافية بيروت-لبنان باختصار.

الرأي الراجح وليس للرأي والاجتهاد فيه نصيب فترتيب السور في المصحف كترتيب بعض السور توقيفي والبعض الآخر بالاجتهاد وعلي كل فإن صاحب مناهل العرفان قال: "بعد سرده للآراء في ترتيب السور" وسواء أكان ترتيب السور توقيفياً أم اجتهادياً فإنه ينبغي احترامه خصوصاً في كتابة المصاحف، لأنه عن إجماع الصحابة، والإجماع حجة ولأن خلافه يجر إلى الفتنة، ودرء الفتنة وسد ذرائع الفساد واجب.[1]

زمان نزول السورة:

والذي يتتبع أراء المفسرين في مكان نزول سورة الماعون يري من يذهب إلى أنها نزلت بمكة ومنهم من يري أنها نزل بعضها بمكة وبعضها بالمدينة ولذا فإنني سأذكر بعض هذه الآراء وارجح ما أراه راجحاً في هذا الشأن.

فمن المفسرين الذين ذهبوا إلى أنها مكية الإمام أبو السعود[2]، الفخر الرازي[3] ومنهم من ذهب إلى أن بعضها نزل بمكة وبعضها نزل بالمدينة وهم:-

الخازن يقول: سورة الماعون مكية وقيل نزل نصفها في مكة في العاص بن وائل والنصف الثاني بالمدينة.[4]

ويقول صاحب الحاشية على البيضاوي سورة الماعون مكية وقيل مدينة[5]،

ويقول صاحب تفسير غرائب القرآن الفرقان سورة الماعون مكية وقيل مدينة[6]، وفي

---

(1) مناهل العرفان للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني جـ١ ص٣٥٨ ط، الحلبي، ولعلي لم أتعرض لذكر أراء العلماء في هذا الشأن لأنه ليس موضوع البحث وإنما موضعه علوم القرآن.

(2) تفسير أبي السعود جـ٩ ص٢٠٣ط، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

(3) تفسير الفخر الرازي جـ٣٢ ص١١١ ط، دار الكتب العلمية طهران.

(4) تفسير الخازن جـ٦ ص ٥٧٧ط، دار إحياء التراث العربي بيروت– لبنان.

(5) الحاشية لمحي الدين شيخ زاده على البيضاوي جـ٤ ص ٦٩٩ط، المكتبة الإسلامية تركيا.

(6) تفسير النيسابوي جـ١٢ ص١٧١ ط، الريان على هامش الطبري.

تقسير الجلالين سورة الماعون مكية أو مدينة أو نصفها ونصفها.[1] هذه بعض أراء العلماء في سورة الماعون، ومن خلال ما ذكرت من أقوال المفسرين يتضح أن سورة الماعون من بين السور المختلف فيها ولذا يعدها صاحب الإتقان من بين السور المختلف فيها[2] هذا ما ذهب إليه المفسرون في كون السور مكية أو مدنية ولكن سمات السورة تدل على مكيتها حيث أنها من قصار المفصل يقول صاحب مناهل العرفان كل سورة من المفصل فهي مكية.

أخرج الطبراني عن ابن مسعود قال: "نزل المفصل بمكة فمكثنا حججاً نقرؤه ولا ينزل غيره" [3] لكن يرد على هذا أن بعض سور المفصل مدني نزل بعد الهجرة اتفاقاً كسورة النصر فإنها كانت من أواخر ما نزل بعد الهجرة بل قيل إنها آخر ما نزل.

فالأولى أن يحمل كلام ابن مسعود هذا على الكثرة الغالبة من سور المفصل لا جميع سور المفصل على وزن معظم هو السور الأخيرة من القرآن مبتدأة من سورة الحجرات على الأصح وسميت بذلك لكثرة الفصل فيها بين السور بعضها وبعض من أجل قصرها وقيل سميت بذلك لقلة المنسوخ فيها فقولها قول فصل لا نسخ فيه ولا فصل.[4]

---

(1) تفسير الجلالين ص ٨٢٣ط، التراث العربي بالمشهد الحسيني.

(2) الإتقان للسيوطي جـ١ ص١٤.

(3) أخرجه الطبراني في الأوسط جـ٦ ص ٣٣٤ قال فيه محقق الإتقان وفيه حجيج ابن معاوية وثقة أحمد وغيره وضعفه جماعة كما في المجمع جـ٧ ص١٥٧.

(4) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني جـ١ ص١٩٧-١٩٨ ط، الحلبي.

هذا ومما يرجح مكيتها أيضاً أن من خواص القسم المكي أنه قد كثر فيه:

١- أنه تحدث عن عادتهم القبيحة كالقتل، وسفك الدماء، وأوأد البنات واستباحة الأعراض، وأكل مال الأيتام فلفت أنظارهم إلى ما في ذلك من أخطار، وما زال بهم حتى طهرهم منه ونجح في إبعادهم عنها.

٢- أنه سلك مع أهل مكة سبيل الإيجاز في خطابه حتى جاءت السور المكية قصيرة الآيات صغيرة السور لأنهم كانوا أهل فصاحة صناعتهم الكلام وهمتهم البيان فيناسبهم الإيجاز والإقلال دون الإسهاب والإطناب كما أن قانون الحكمة العالية قضي بأن يسلك سبيل التدرج والارتقاء في تربية الأفراد وأن يقدم الأهم على المهم.

ولا ريب أن العقائد والأخلاق والعادات أهم من ضروب العبادات ودقائق المعاملات لأن الأولى كالأصول بالنسبة للثانية لذلك كثر في القسم المكي التحدث عنها والعناية بها جرياً على سنة التدرج من ناحية وتقديماً للأهم على المهم من ناحية أخرى.[1]

فمن بين هذه الخواص التي ذكرها صاحب مناهل العرفان في القسم المكي ما يكاد ينطبق على سورة الماعون، وهذا لا يمنع أن من بين آيات هذه السورة ما هو مدني والله أعلم.

مناسبة سورة الماعون لما قبلها وما بعدها:

لقد اهتم الكثير من المفسرين بعقد المناسبات بين سور القرآن الكريم وبين آياته كذلك، واستنباط وجوه الربط بين السورة وسابقتها ولاحقتها، وما ذلك إلا لبيان وإيضاح أن سور القرآن الكريم وآياته كلها وحده مترابطة متماسكة لأنه هو الكتاب

---

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني جـ١ ص٢٠٣- ٢٠٤، مختصراً.

المعجز بأسلوبه ومعانيه وهو الباقي على مر الدهر وكر الزمان لا يتطرق إليه تحريف ولا تغيير ولا شك ولا ارتياب لأن منزله عز شأنه وعد بحفظه فقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (١)

ومن هنا فإنه توجد علاقة بين سورة الماعون وسابقتها سورة "قريش" يقول الألوسي في تفسيره لما ذكر سبحانه في سورة قريش: ﴿الَّذِيَ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ ذم عز وجل هنا من لم يحضه على طعام المسكين، ولما قال تعالى هنا: ﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَـذَا الْبَيْتِ﴾ ذم سبحانه هنا من سها عن صلاته أو لما عدد نعمه تعالى على قريش وكانوا لا يؤمنون بالبعث والجزاء اتبع سبحانه امتنانه عليهم بتهديدهم بالجزاء وتخويفهم من عذابه فقال: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾

ومن كلام الألوسي يتضح وجه الصلة بين سورتي قريش والماعون وإنهما مرتبطان بعضهما ببعض ومتواخيتان في السياق.

أما عن صلة سورة الماعون بلاحقتها فيقول الإمام الألوسي أيضاً هي كالمقابلة للتي قبلها لأن السابقة وصف الله تعالى فيها المنافق بأربع أمور البخل وترك الصلاة والرياء ومنع الزكاة فذكر عز وجل في هذه السورة في مقابلة البخل ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ (٢) أي الخير الكثير وفي مقابلة ترك الصلاة ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ (٣) أي دم على الصلاة وفي مقابلة الرياء "لربك" أي لرضاه لا للناس وفي مقابلة الماعون "وانحر" وأراد به سبحانه التصدق بلحوم الأضاحي ثم قال فاعتبر هذه المناسبة العجيبة فلا

---

(١) سورة الحجر الآية (٩).

(٢) سورة الكوثر الآية (١)

(٣) سورة الكوثر الآية (٢)

تغفل[1] وبهذا يتبين وجه الصلة بين سور الماعون مع سابقتها ولاحقتها مما يدل على أن سور القرآن الكريم وحده مترابطة متماسكة وكذلك آياته وهذا مما سبقت الإشارة إليه.

عدد آياتها وكلماتها وحروفها:

أما عن عدد آيات سورة الماعون فسبع آيات بلا خلاف بين المفسرين وما عليه المصاحف وقد رجعت إلى بعض كتب التفسير فوجدتها تقر هذا العدد وتنص عليه بلا خلاف ومن بين هؤلاء المفسرين الإمام أبو السعود[2] والإمام فخر الرازي[3] والزمخشري[4] والخازن [5] والإمام النيسابوي [6]الذين ذكروا أن عدد آيات سورة الماعون سبع آيات وإنما الذي ذكرته من أقوال بعض المفسرين في عدد الآيات على سبيل المثال لا الحصر وأردت به أن أبين أنه لا خلاف بين المفسرين في عدد آيات هذه السورة أما عن عدد كلماتها وحروفها فقد ذكر الإمام النيسابوري أن عدد كلماتها خمس وعشرون كلمة وعدد حروفها مائة وخمسة وعشرون حرفاً [7]

---

(1) روح المعاني والسبع المثاني للإمام الألوسي جـ٣٠ ص ٢٤١-٢٤٤ط، دار إحياء التراث العربي بيروت-لبنان.

(2) ارشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم للإمام أبي السعود جـ٩ ص ٢٠٣ ط، دار إحياء التراث العربي بيروت-لبنان.

(3) التفسير الكبير للإمام الفخر الرازي جـ٣٢ ص١١١ ط، دار الكتب العلمية طهران.

(4) الكشاف للزمخشري جـ٤ ص٢٣٦ط، دار المعرفة بيروت-لبنان.

(5) تفسير الخازن القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري جـ٣٠ ص ١٧١ط، دار الريان على هامش الطبري

(6)تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري جـ٣٠ ص١٧١ط، دار الريان على هامش الطبري.

(7) المرجع السابق.

وهذا ما ذكره أيضاً الخازن في تفسيره [1]، وأن دل هذا على شيء فإنما يدل على مدى محبة العلماء لكتاب الله واهتمامهم به وسهرهم على فهم آياته مما جعلهم يعدون كلماته وحروفه أي أنهم لا يدخرون وسعاً في خدمة كتاب ربهم وتدبر معانيه.

وهذا وغيره من الأسباب التي هيأها الله لحفظ القرآن الكريم قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [2]

سبب نزول السورة:

من المعلوم أن البعض من سور القرآن الكريم و آياته قد نزلت بسبب والبعض منها نزل ابتداء بغير سبب، وإذا كان للسور أو الآية سبب نزول فهذا مما يعين على فهم السورة أو الآية التي نزلت الآية أو السورة بسببها فمما جاء في سبب نزول سورة الماعون ما ذكره الواحدي في سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ [3] قال مقاتل والكلبي نزلت في العاص بن وائل السهمي وقال ابن جريج كان أبو سفيان [4] ابن حرب ينحر كل أسبوع جزورين فأتاه يتيم فسأله شيئاً فقرعه بعصاً فأنزل الله تعالى[5]: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ* فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [6]

---

(1) تفسير الخازن جـ٦ ص٥٧٧ط، دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان.

(2) سورة الحجر الآية (٩).

(3) سورة: الماعون – الآية(١)

(4) أبو سفيان بن حرب قبل إسلامه.

(5) أسباب النزول للواحدي ص٣٤٢ ط، مكتبة الجمهورية العربية بالقاهرة.

(6) سورة: الماعون – الآية (٢،١)

أهداف سورة الماعون:

إن التأمل في سورة الماعون يجد أهدافها تدور حول ما يأتي:

١- التعجب من حال هؤلاء المشركين الذين كذبوا بالبعث.

٢- الاعتداء على اليتامى بمنعهم من حقهم وعدم الإحسان إلى المحتاجين.

٣- البخل بما أتاهم الله من فضله من المال وغيره بمنعه ممن يطلبه.

٤- هجر الصلاة وفعل المرائين وترك العون للغير.

عرض إجمالي للسورة الكريمة

من المعلوم أن لكل سورة من سور القرآن الكريم موضوعاتها الخاصة وسماتها التي تميزها عن غيرها لأن لكل سورة طابعاً خاصاً سيقت لأجله وموضوعاً أو موضوعات تتحدث عنها وتقوم بمعالجتها ووضع الحلول لها مع ما تشمل عليه من الوعد أو الوعيد والإنذار والتبشير لكل واحد ما يستحقه وما أعده الله من الجزاء الذي يناسب عمله الذي قام به أو أداه في الدنيا من خير أو شر ولما كان موضوع البحث "تأملات في سورة الماعون" أردت أن أقدم عرضاً إجماليا لما تحتويه آيات هذه السورة فأقول وبالله التوفيق، ومنه وحده استمد العون والثبات والصواب.

﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ [1] أي هل عرفت ذلك الذي يكذب بالدين وهو استفهام للتعجب والتشويق إلى معرفة الذي يكذب بالدين والحساب والخطاب للنبي -ﷺ- وقيل هو خطاب لكل أحد والمعنى أرأيت يا أيها الإنسان أو يا أيها العاقل هذا الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح بيانه فكيف يليق به ذلك

---

(١) سورة الماعون – الآية(١)

﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ [1] أي يقهره ويدفعه عن حقه والدَّع الدفع بعنف وجفوة، والمعنى أنه يدفعه عن حقه وماله بالظلم ويترك المواساة له لأن قلبه خلا من الرحمة وامتلأ بالكبر والغطرسة مما جعله يهين اليتيم ويؤذيه مع أن اليتيم في حاجة إلى العطف والحنان حيث فقد الأب الذي يحميه والعائل الذي يحنو عليه وهو لم يبلغ الحلم بعد فمن واجب المجتمع أن يتعاون على إكرامه والأخذ بيده حتى ينشأ عزيزاً كريماً حيث أن كل فرد معرض أن يفاجئه الموت في أي وقت وأن يترك أولاداً صغاراً فليعامل اليتيم بما يحب أن يعامل به أولاده قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ اللّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً﴾ [2]

﴿وَلاَ يَحُضُّ عَلَىَ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [3] أي لا يحدث غيره على إطعام المسكين والمعنى أنه لا يطعمه، ولا يأمر غيره بإطعامه لأنه يكذب بيوم الجزاء وهذا غاية البخل ومنتهاه، لأنه يبخل بماله وبمال غيره ولذا فإنه لا يأمر غيره بالإطعام بل من الواجب على المسلم إذا عرضت عليه حاجة المسكين ولم يجد ما يعطيه فعليه أن يطلب من الناس أن يعطوه وأن يمدوا إليه يد العون والمساعدة، وفي هذا حث للمصدقين بالدين على إغاثة الملهوف ومساعدة الفقراء والمساكين ولو بجمع المال من غيرهم ولعلها طريق الجمعيات الخيرية التي قد يستفاد من هذه الآية ونحوها في قوله: ﴿كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ* وَلاَ تَحَاضُّونَ عَلَىَ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [4] يقول صاحب الظلال إن حقيقة التصديق بالدين ليس كلمة تقال باللسان إنما هي تحول في القلب، يدفعه إلى الخير والبر بإخوانه في

---

(1) سورة: الماعون - الآية (1، 2)

(2) سورة: النساء - الآية (9)

(3) سورة: الماعون - الآية (3).

(4) سورة: الفجر - الآية (17، 18).

الخير والبر بإخوانه في البشرية المحتاجين إلى الرعاية، والحماية والله لا يريد من الناس كلمات إنما يريد منهم معها أعمالا تصدقها وإلا فهي هباء لا وزن لها عنده ولا اعتبار وليس أصرح من هذه الآيات الثلاث في تقرير هذه الحقيقة، التي تمثل روح هذه العقيدة وطبيعة هذا الدين.[1]

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾[2] الويل الهلاك والمراد بالمصلين هنا المنافقون ثم وصفهم بقوله: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ والمعنى إذا عرفت إن المكذب بالدين هو الذي أقفر قلبه من الرحمة بمعنى خلا منها، وأجدب من العدل والمكرمة فويل لأولئك الذين يصلون، ويؤدون ما يسمى صلاة في عرفهم من الأقوال والأفعال وهم مع ذلك ساهون أي لاهون عن صلاتهم غافلة قلوبهم عما يفعلون وما يفعلون، فهو يركع في ذهول عن ركوعه ويسجد وهو في لهو عن سجوده، وإنما هي حركات إعتادها وأدعية حفظها ولكن قلبه لا يعيش معها، ولا يعيش بها، وروحه لا تستحضر حقيقة الصلاة وحقيقة ما فيها.[3]

﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾[4] أي يفعلون ما يرى للناس فقط ولا يستشعرون روح العبادة في نفوسهم ولا تلخص فيها قلوبهم بل يفعلون ذلك رياء فهؤلاء الصنف من الناس وهم المنافقون قد يتركون الصلاة في السر ويصلونها في العلانية لأجل ثناء الناس عليهم.

يقول صاحب الظلال "إنهم يصلون رياء الناس لا إخلاصاً لله، ومن ثم ساهون عن صلاتهم وهم يؤدونها، ساهون عنها لم يقيموها، والمطلوب هو إقامة الصلاة لا مجرد

---

(1) الظلال للشيخ سيد قطب جـ٦ ص٣٩٨٦ بتصرف وتلخيص ط، دار الشروق.

(2) سورة الماعون الآيتان (٤، ٥)

(3) أهداف كل سورة للدكتور/ عبد الله شحاتة جـ٤ ص٣٠٤ بتصرف وتلخيص ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة.

(4) سورة: الماعون – الآية (٦)

أدائها، وأقامتها لا تكون إلا باستحضار حقيقتها في القيام لله وحده بها [1] ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [2] أي يمنعون المساعدة عن المستحق لها أو يمنعون ما اعتاد الناس قضاءه وتداوله فيما بينهم.

يقول البيضاوي في تفسيره والمعني إذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين الموجب للذم والتوبيخ فالسهو عن الصلاة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التي هي قنطرة الإسلام ولذلك رتب عليها الويل، وإنما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على سوء معاملتهم مع الخالق والخلق. [3] أ هـ

هذا هو العرض الإجمالي لسورة الماعون وكما يتضح من هذا العرض ما قاله الدكتور عبد الله شحاته وهي سورة ذات معني أصل في الشريعة تعالج حقيقة ضخمة، هي أن هذا الدين ليس مظاهر وطقوس ولكنه عقيدة صادقة، ويقين ثابت، وإخلاص لله ويتمثل هذا اليقين في سلوك نافع، وحياة مستقيمة مع الخالق والخلق وأن هذا الدين ليس أجزاء وتفاريع مبعثرة، وإنما هو منهج متكامل في أصوله وفروعه وعبادته وشعائره في تحقيق الخير للفرد والجماعة لا ينفك أحدهما عن الآخر. [4]

---

(1) الظلال للشيخ سيد قطب جـ٦ ص ٣٩٨٦ط، دار الشروق.

(2) سورة: الماعون – الآية (٧)

(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي جـ٥ ص ٥٧٩ ط ، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

(4) أهداف كل سورة للدكتور عبد الله شحاتة جـ٤ ص ٣٩٩ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة – بتصرف وتلخيص.

وبعد هذا العرض الإجمالي للسورة الكريمة:

سأتكلم عن آياتها بشيء من التأمل والتفصيل في مبحثين هما:

المبحث الأول: التكذيب بالدين وما يترتب عليه وعاقبته ويندرج تحت الآيات (١-٣) من قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ الآية وحتى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾

المبحث الثاني: الوعيد بالويل للساهين عن صلاتهم والمرائين ومانعي الماعون ويندرج تحت الآيات (٤-٧) إلخ السورة من قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ الآية إلى قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ إلخ السورة.

المبحث الأول

التكذيب بالدين وما يترتب عليه وعاقبته

ويندرج تحت قول الله عز وجل: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [1]

إن الذي يتأمل فيما بدئت به سورة الماعون يجد بأنها بدأت بما يفيد الاستفهام يقول الإمام أبو السعود في تفسيره.

وهذا الاستفهام أريد به تشويق السامع إلى معرفة من سيق له الكلام والتعجب منه والخطاب لرسول الله - ﷺ - وقيل لكل عاقل والرؤية بمعني المعرفة.[2] أ هـ

---

(١) سورة الماعون الآيات (١-٣).

(٢) تفسير الإمام أبي السعود جـ٩ ص٢٠٣ط، دار إحياء التراث العربي بيروت – لبنان.

والرؤية في قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ﴾ يحتمل أن تكون بصرية فتتعدي لواحد هو اسم الموصول كأنه تعالى قال أبصرت أسوأ وأعجب من هذا المكذب بيوم الدين، ويحتمل أن تكون علمية فتتعدى لاثنين أولهما الاسم الموصول والثاني المحذوف، والتقدير أعرفت الذي يكذب بالدين من هو؟ إننا نحن الذين نعرفك صفاته.[1]

يقول الفخر الرازي: "وأعلم أن هذا اللفظ وأن كان في صورة الاستفهام لكن الغرض بمثله المبالغة في التعجب كقولك أرأيت فلاناً ماذا ارتكب ولماذا عرض نفسه؟ ثم قيل إنه خطاب لرسول الله - ﷺ- وقيل بل خطاب لكل عاقل أي أرأيت يا عاقل الذي يكذب بالدين بعد ظهور دلائله ووضوح تبيانه أيفعل ذلك لا لغرض، فكيف يليق بالعاقل جر العقوبة الأبدية إلى نفسه من غير غرض أو لأجل الدنيا، فكيف يليق بالعاقل أن يبيع الكثير الباقي بالقليل الفاني.

ويقول أيضاً: وفي الآية قولان أحدهما أنها مختصة بشخص معين وعلى هذا القول ذكروا أشخاصاً فما ذكره الفخر الرازي زيادة على ما تقدم ذكره في سبب النزول عند الواحدي يقول: قال السدي نزلت في الوليد بن المغيرة، وحكي الماوردي أنها نزلت في أبي جهل، وروى أنه كان وصياً ليتيم فجاءه وهو عريان يسأله شيئاً من مال نفسه، فدفعه ولم يعبأ به فيئس الصبي، فقال له أكابر قريش قل لمحمد يشفع لك وكان غرضهم الاستهزاء ولم يعرف اليتيم ذلك فجاء النبي - ﷺ- والتمس منه ذلك، وهو عليه الصلاة والسلام ما كان يرد محتاجاً فذهب معه إلى أبي جهل فرحب به وبذل المال لليتيم فعيرته قريش، فقالوا صبوت فقال والله ما صبوت لكن رأيت عن يمينه وعن يساره حربة

---

(1) تفسير الوسيط للإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي جـ١٥، ص٧٣٠.

خفت إن لم أجبه يطعنها في وروي عن ابن عباس أنها نزلت في منافق جمع بين البخل والمراءاة.

القول الثاني: أنه عام لكل من كان مكذباً بيوم الدين وذلك لأن إقدام الإنسان على الطاعات وأحجامه عن المحظورات إنما يكون للرغبة في الثواب ورهبة عن العقاب فإذا كان منكر للقيامة لم يترك شيئاً من المشتيهات واللذات، فثبت أن إنكار القيامة كالأصل لجميع أنواع الكفر والمعاصي.

والقول بالعموم أرجح إذا العبرة في عموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومما ذكرته في سبب النزول سابقاً وما ذكره الإمام الرازي يستفاد منه أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب وهذه هي القاعدة المتعارف عليها لدى المفسرين ويستفاد أيضاً أن من كان منكراً ليوم القيامة وما فيه من الجزاء للطائعين بالثواب والعاصيين بالعقاب لم يتورع عن ترك المعاصي وارتكاب المذكرات.

ولذا فإنه معنى "أرأيت" هل عرفت الذي يكذب بالجزاء من هو فإن لم تعرفه فهو صفته كيت وكيت، ومنها فهو الذي يدع اليتيم، ويقول أيضاً: في تفسير "الدين" وجوه "أحدها" أن يكون المراد من يكذب بنفس الدين والإسلام إما لأنه كان منكراً للصانع أو لأنه كان منكراً للنبوة أو لأنه كان منكراً للمعاد أو لشيء من الشرائع، فإن قيل كيف يمكن حمله على هذا الوجه، ولابد أن يكون لكل واحد دين فالجواب من وجوه "أحدها" أن الدين المطلق في اصطلاح أهل الإسلام، والقرآن هو الإسلام قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلاَمُ﴾ [1]

---

(1) سورة: آل عمران - الآية: ١٩

أما سائر المذاهب فلا تسمي ديناً إلا بضرب من التقيد كدين النصارى واليهود وثانيهما أن يقال هذه المقالات الباطلة ليست بدين لأن الدين هو الخضوع لله وهذه المذاهب إنما هي خضوع للشهوة أو للشبهة، وثالثها هو قول أكثر المفسرين أن المراد أرأيت الذي يكذب بالحساب والجزاء قالوا وحمله على هذا الوجه أولى [1] أ، هـ

فالذي يفهم من كلام الإمام الرازي هو أن المراد بالدين هو الحساب والجزاء وهذا ما عليه أكثر المفسرين فقد ذهب الإمام الطبري وغيره من المفسرين إلى هذا الرأي فقال عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ [2] ليس الأمر أيها الكافرون كما تقولون أنكم على الحق في عبادتكم ولكنكم تكذبون بالثواب والعقاب والجزاء والحساب.[3]

ويقول ابن كثير في معني هذه الآية: ﴿كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ أي إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصي تكذيب في قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب.[4]

ويقول الشوكاني في معني الآية ﴿كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ كلا للردع والزجر من الاغترار بكرم الله وجعله ذريعة إلى الكفر به والمعاصي له، ويجوز أن يكون بمعني حقاً وقوله ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ﴾ إضراب عن جملة مقدرة ينساق إليها الكلام كأنه قيل

---

(1) التفسير الكبير للإمام الفخر الرزاي جـ٣٢ ص١١١-١١٢ط، دار الكتب العلمية طهران الطبعة الثانية.

(2) سورة: الإنفطار - الأية: ٩

(3) جامع البيان في تفسير القرآن للطبري جـ١٢ ص٥٦ ط، دار الريان بالقاهرة.

(4) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير جـ٤ ص ٥١٤ ط، دار المعرفة بيروت- لبنان.

الردع وأنتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجاوزنه إلى ما هو أعظم منه من التكذيب بالدين وهو الجزاء أو بدين الإسلام.[1]

وشبيهة هذه في سورة المطففين قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ* وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾[2] يقول الإمام بن كثير أي لا يصدقون بوقوعه ولا يعتقدون كونه ويستبعدون أمره، وما يكذب به إلا كل معتد أثيم أي معتد في أفعاله من تعاطي الحرام والمجاوزة في تناول المباح والأثيم في أقواله..... إلخ.[3]

ومما يشبه هذه الآية أيضاً في سورة "والتين" قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾[4] يقول الإمام الفخر الرازي فيه هنا سؤلان:- وفي إيراده للسؤال الثاني وجوابه قال.

السؤال الثاني: ما وجه التعجب؟

الجواب: أن خلق الإنسان من النطفة وتقويمه بشراً سوياً وتدريجه في مراتب الزيادة إلى أن يكمل ويستوي ثم تنكيسه إلى أن يبلغ أرذل العمر دليل واضح على قدرة الخالق على الحشر والنشر فمن شاهد هذه الحالة ثم بقى مصراً على إنكار الحشر فلا شيء أعجب منه.[5]

---

(1) فتح القدير للشوكاني جـ٥ ص٥٥٩ ط، دار الفكر بيروت- لبنان.

(2) سورة: المطففين - الأية: ١١-١٢

(3) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٥١٨.

(4) سورة: التين - الأية: ٧

(5) التفسير الكبير للفخر الرازي جـ٣٢ ص١١-١٢.

يقول ابن جرير في معنى قوله تعالى ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ﴾ اختلفوا في معني قوله بالدين فقال بالدين فقال بعضهم بالحساب وقال آخرون بل معناه بحكم الله والقول الأول عن عكرمة والقول الثاني عن ابن عباس، وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال الدين في هذا الموضع الجزاء والحساب وذلك أن أحد معاني الدين في كلام العرب الجزاء والحساب ومنه قولهم كما تدين تدان ولا أعرف من معاني الدين الحكم في كلامهم إلا أن يكون مراداً بذلك فما يكذبك بعد بأمر الله الذى حكم به عليك أن تطيعه فيه فيكون ذلك.[1]

والذي يستفاد مما تقدم ذكره من كلام الإمام الرازي وابن جرير أن يوم القيامة آت لا شك فيه وإنه يوم الحساب والجزاء على الأعمال، والعاقل هو الذي يصدق بهذا كما أخبر بذلك القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة لأن الذي أوجد الإنسان من عدم قادر على إعادته ثانياً قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [2]

ومما يؤكد وقوعه وأنه كائن لا محالة آيات كثيرة في القرآن ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ* وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ [3] يقول صاحب الكشاف في معني ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ﴾ جواب لقسم وما موصولة أو مصدرية والموعود البعث ووعد صادق كعيشة راضية والدين الجزاء.[4]

---

(1) تفسير الطبري جـ١٢ ص١٦٠.

(2) سورة: الروم - الأية: ٢٧

(3) سورة: الذاريات - الأية: ٥- ٦

(4) تفسير الكشاف للزمخشري جـ٤ ص٢٦ط ، دار المعرفة بيروت- لبنان.

ويقول الإمام أبو السعود في تفسيره لهاتين الآيتين أيضاً ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ* وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ جواب القسم وفي تخصيص الأمور المذكورة بالأقسام بها رمز إلى شهادتها بتحقيق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث أنها أمور بديعة مخالفة لمقتضي الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود به.[1]

والذي يتامل في آيات القرآن يجد أن التصديق بيوم لدين من صفات المؤمنين يقول الطوسي في تفسيره عطف الله تعالى على صفات المؤمنين وزاد في مدحهم فقال: ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [2] أي يؤمنون بأن الجزاء والحساب يوم القيامة حق، ولا يشكون في ذلك، والتصديق هو الإقرار بأن الخبر صادق، فلما كان المؤمنون قد أقروا أن كل من أخبر بصحة يوم الدين فهو صادق كانوا مصدقين به.[3]

ويقول الإمام أبو السعود في معني هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ أي بأعمالهم حيث يتعبون أنفسهم في الطاعات البدنية والمالية طمعاً في المثوبة الأخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء.

وقال الشوكاني ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ بيوم الجزاء وهو يوم القيامة لا يشكون فيه ولا يجحدونه.

ويقول ابن كثير في معناها أيضاً أي يوقنون بالميعاد والحساب والجزاء فهم يعملون عمل من يرجو الثواب ويخاف العقاب.[4]

---

(1) تفسير أبو السعود جـ٨ ص١٢٦، فتح القدير للشوكاني جـ٥ ص١١٧.

(2) سورة: المعارج – الأية: ٢٦

(3) التبيان في تفسير القرآن للطوسي جـ١ ص١٢٣، ١٢٤ط، دار إحياء التراث العربي.

(4) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٤٥٠.

ويفهم مما تقدم أن الذي يؤمن ويوقن بيوم المعاد والجزاء يفعل الطاعات ويترك المعاصي ليلقي عند ربه جزاء طاعته لأنه سبحانه وتعالى وعد من أطاعه بالرضا في الدنيا والجنة في الآخرة قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَـئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ* جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَآ أَبَداً رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [1]

هذا في شأن المصدقين بيوم الدين والمقرين به ثم الذي يتأمل كذلك في آيات القرآن يجد فيه الوعيد الشديد لمن ينكر هذا اليوم قال تعالى: ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ *مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ *قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ* وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ* وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَآئِضِينَ*وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ [2]

يقول الطوسي في معني الآية أي كنا نجحد يوم الجزاء وهو يوم القيامة فالتكذيب تنزيل الخبر على أنه كذب باعتقاد ذلك فيه أو الحكم به فهؤلاء أعتقدوا أن الخبر بيوم الدين كذب والدين الجزاء وهو الإيصال إلى كل من له شيء أو عليه شيء ما يستحقه فلذلك يوم الدين وهو يوم الجزء وهو يوم اخذ المستحق بالعدل.[3]

ويقول صاحب صفوة التفاسير في معني قوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾ أي نكذب بيوم القيامة والجزاء والمعاد وإنما آخر التكذيب بيوم الدين تعظيماً له لأنه أعظم جرائمهم وأفحشها.[4]

---

(1) سورة البينة - الآية: ٧-٨

(2) سورة المدثر الآيات من ٤٠-٤٦

(3) تفسير التبيان للطوسي جـ١٠ ص١٨٦-١٨٧.

(4) صفوة التفسير للشيخ الصابوني جـ١٩ ص ٤٨٠ ط، دار الرشيد سوريا.

فالذي يفهم مما ذكر أن السبب في دخول هؤلاء المجرمين سقر هي تلك الأمور الأربعة: أحدها: ترك الصلاة ثانيها: ترك إطعام المسكين، ثالثهما: الشروع في الأباطيل مع أهلها رابعها: التكذيب بالبعث والجزاء.

والتكذيب بيوم الدين هو من أعظمها فحشاً وأكبرها جرماً نسأل الله العفو والعافية قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ الفاء جواب شرط مقدر تقديره إن تأملته أو إن طلبت علمه.[1]

"يَدُعُّ" الدَّع الدفع الشديد وأصله أن يقال للعاثر دع دع كما يقال له لعا لعا قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾[2] وقوله ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾[3]

قال الشاعر: دعا الوصي على قفا يتيمه.[4]

والمعنى: في الآية ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ﴾ أي يدفعه بشدة وينتهره يقول الإمام النسفي في معني قوله: يَدُعُّ الْيَتِيمَ أي يدفعه دفعاً عنيفاً بجفوة وأذى ويرده رداً قبيحاً بزجر وخشونة.[5]

ويقول الخازن في معني "يَدُعُّ" أي يدفعه عن حقه وماله بالظلم وقيل يترك المواساة له وغن لم تكن المواساة واجبة وقيل بزجره ويضر به ويستخف به.[6]

---

(1) التبيان في إعراب القرآن للعكبري جـ٢ ص٢٩٥ط، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

(2) سورة الطور – الأية: ١٣

(3) سورة الماعون – الأية: ٢

(4) المفردات للراغب الأصفهاني ص١٦٩ كتاب الدال ط، دار المعرفة بيروت – لبنان.

(5) تفسير النسفي جـ٦ ص٥٧٧ ط، دار إحياء التراث العربي بيروت– لبنان.

(6) تفسير الخازن جـ٦ ص٥٧٧ ط، دار إحياء التراث العربي بيروت– لبنان.

وكل هذه المعاني تناسب قوله عز شأنه "يَدُعُّ الْيَتِيمَ" واليتيم من مات أبوه قبل بلوغه.

يقول صاحب المفردات: يتم: اليتيم انقطاع الصبي عن أبيه قبل بلوغه وفي سائر الحيوانات من قبل أمه قل تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ﴾ (١) ﴿وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ (٢) وجمعه يتامي ..... إلخ. (٣)

واليتيم الذي فقد من يعوله يحتاج إلى العناية والرعاية من المجتمع لكي ينشأ عزيزاً كريماً، والذي يطالع آيات القرآن الكريم يجد فيه العشرات من الآيات التي تحث على إكرام اليتيم ومعاً ملته المعاملة الكريمة وعدم التعرض له بالإيذاء أو التعدي على ماله بالإتلاف بل الإحسان إليه في جميع الأحوال حتى يبلغ الحلم وتكتمل رجولته ويستطيع أن يتصرف في ماله تصرف العقلاء لا تصرف السفهاء ومن بين هذه الآيات قال تعالى: ﴿وَآتُواْ الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُوَاْ أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً﴾ (٤)

وقوله تعالى: ﴿وَابْتَلُواْ الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ﴾ (٥)

فالذى تشير إليه الآيتان الكريمتان أن على الأولياء والأوصياء على أموال اليتامى إلا يضيعوا هذه الأموال لأنها أمانات لديهم وهم مسئولون عنها أمام الله.

---

(١) سورة: الضحى – الأية: ٦

(٢) سورة: الإنسان – الأية: ٨

(٣) المفردات للراغب كتاب الياء ص٥٥٠، وقيل اليتيم في الطير من مات أبويه.

(٤) سورة: النساء – الأية: ٢

(٥) سورة: النساء – الأية: ٦

وفي سورة البقرة يقول عز شأنه ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِيَ إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾ (١)

يقول ابن جرير في معناها وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وحده دون من سواه من الأنداد وبالوالدين إحساناً وبذي القربى أن تصلوا رحمة وتعرفوا حقه واليتامى أن تعطفوا عليهم بالرأفة والرحمة وبالمساكين أن تؤودهم حقوقهم التي الزمها الله أموالكم ..... إلخ (٢)

ولذلك يجيء التحذير في آية أخرى للأوصياء والأولياء على أموال اليتامى يتضمن النهي عن ظلم اليتامي فيقول عز شأنه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ (٣)

وفي سورة الضحى يقول عز شأنه ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ* وَأَمَّا السَّآئِلَ فَلاَ تَنْهَرْ* وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (٤)

يقول صاحب أضواء البيان في معناها وقد ساق الله تعالى هنا ثلاث مسائل الأولى منه معاملة الأيتام فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ أي كما آواك فآوه، وكما أكرمك فأكرمه وقالوا قهر اليتيم أخذ ماله ظلماً، وبالنظر في نصوص القرآن العديدة في شأن اليتيم، والتى زادت على العشرين موضعاً فإنه يمكن تصنيفها إلى خمسة أبواب كلها تدور حول دفع المضار عنه وجلب المصالح له في ماله وفي نفسه فهذه أربعة أمور هي:

---

(١) سورة: البقرة - الأية: ٨٣

(٢) تفسير ابن جرير جـ١ ص٣٠٩ط، دار الريان بالقاهرة.

(٣) سورة: النساء - الأية: ١٠

(٤) سورة: الضحى - الأية ٩ : ١١

- أما دفع المضار عنه في ماله ففي قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [1] جاءت مرتين في سورة الأنعام وفى سورة الإسراء وفى كل من الورقتين ضمن الوصايا العشر المعروفة فى سورة الأنعام قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ [2]، وذكر قتل الأولاد وقربان الفواحش وقتل النفس ثم مال اليتيم ﴿وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ ويلاحظ أن النهي منصب على مجرد الاقتراب من ماله إلا بالتي هي أحسن وقد بين الله تعالى التي هي أحسن بقوله قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللّهِ حَسِيباً﴾ [3]

ثم بعد النهي عن اقتراب مال اليتيم ذلك فقد تتطلع بعض النفوس إلى فوارق بسيطة من باب التحيل أو نحوه من استبدال شيء مكان شيء فيكون طريقاً لاستبدال طيب بخبيث فجاء قوله تعالى: ﴿وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُوَاْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً﴾ [4] والحوب أعظم الذنب ففيه النهي عن استبدال طيب ماله بخبيث مال الولى أو غيره حسداً على ماله كما نهي عن خلط ماله مع مال غيره كوسيلة لأكله مع مال الغير، وهذا منع للتحيل وسد للذريعة، حفظاً لماله، ثم يأتي الوعيد الشديد في صورة مفزعة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾ [5]

---

(1) سورة: الأنعام - الآية: ١٥٢

(2) سورة: الأنعام - الآية: ١٥١

(3) سورة: النساء - الآية: ٦

(4) سورة: النساء - الآية: ٢

(5) سورة: النساء - الآية: ١٠

وقد اتفق العلماء أن الآية شملت في النهي عن آكل أموال اليتامي كل ما فيه إتلاف أو تفويت سواء كان بأكل حقيقة أو باختلاس أو بإحراق أو إغراق، وهو المعروف عند الأصوليين بالإلحاق بنفي الفارق، إذ لا فرق في ضياع مال اليتيم عليه، بين كونه بأكل أو إحراق بنار أو إغراق في ماء حتى الإهمال فيه، فهو تفويت عليه وكل ذلك حفظاً لماله، وأخيراً فإذا تم الحفاظ على ماله لم يقربه إلا بالتي هي أحسن، ولم يبدله بغيره بأقل منه، ولم يخلطه بماله ليأكله عليه، ولم يعتد عليه بأي إتلاف كان محفوظاً له إلى أن يذهب يتمه ويثبت رشده، فيأتي قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُواْ الْيَتَامَىَ حَتَّىَ إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَن يَكْبَرُواْ﴾ (١)

ثم أحاط دفع المال إليه بموجبات الحفظ بقوله في أخر الآية قال تعالى: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَىَ بِاللّهِ حَسِيباً﴾ (٢)

أي حتى لا تكون مناكرة فيما بعد وفيه أشعار بان أمواله تدفع إليه بعد محاسبة دقيقة فيما له وما عليه، ومهما يكن من دقة الحساب فالله سيحاسبه عنه، وكفي بالله حسيباً وهذا كله في حفظ ماله.

- أما جلب المصالح، فإننا نجد فيها أولاً جعله مع الوالدين والأقربين في عدة مواطن منها في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىَ﴾ (٣) ومنها قوله في إيراده في أنواع البر من الإيمان بالله وإنفاق المال ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىَ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىَ وَالْيَتَامَىَ

(١) سورة النساء - الآية: ٦

(٢) سورة النساء - الآية: ٦

(٣) سورة البقرة - الآية: ٢١٥

وَالْمَسَاكِينَ ﴾ [1] إلخ الآية ومنها ما هو أدخل في الموضوع حيث جعل له نصيباً في التركة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَىَ وَالْيَتَـامَىَ وَالْمَسَـاكِينُ فَـارْزُقُوهُمْ مِّنْـهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾ [2] بصرف النظر عن مباحث الآية من جهات أخرى، ومرة أخرى يجعل لهم نصيباً فيما هو أعلى منزلة في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُـوَا أَنَّمَـا غَنِمْتُـمْ مِّـن شَيْءٍ فَأَنَّ للَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىَ وَالْيَتَامَىَ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ﴾ ... الآية [3] فجعلهم الله مع ذي القربي من رسول الله -ﷺ-

- دفع المضار عنه بحفظ ماله وهناك ما هو اعظم من هذا وهو أن يسوق الله الخضر وموسى عليهما السلام ليقيما جدار اليتيمين على كنز لهما حتى يبلغا أشدهما في قوله عز شأنه ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ....﴾ الآية [4]

هذا هو الجانب المالي من دفع المضرة عنه في حفظ ماله ومن جانب النفع إليه عن طريق المال.

أما الجانب النفسي فيتمثل فيما يلي:

أولاً: عدم مساءته في نفسه فمنها قوله تعالى: ﴿أَرَأَيْـتَ الَّـذِي يُكَـذِّبُ بِـالدِّينِ* فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ* وَلاَ يَحُضُّ عَلَىَ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ وهذا هو موضـوع البحث الذي بين يدي.

---

(1) سورة: البقرة - الآية: ١٧٧

(2) سورة: النساء - الآية: ٨

(3) سورة: الأنفال - الآية: ٤١

(4) سورة: الكهف - الآية: ٨٢

ثانياً: في الإحسان إليه منها قوله تعالى: ﴿لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى﴾ [1] فيحسن إلي كما يحسن لوليه ولذي القربي ومنها سؤال وجوابه من الله عز وجل ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [2] أي تعاملوهم كما تعاملون الأخوان وهذا أعلي درجات الإحسان والمعروف ولذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾.

وفي تقديم ذكر المفسد على المصلح إشعار لشدة التحذير من الإفساد في معاملته، ولأنه محل التحذير في موطن آخر جعلهم بمنزلة الأولاد في قوله ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ اللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلاً سَدِيداً﴾ [3] أي حتى في مخاطبتهم إياهم لأنهم بمنزلة أولادهم بل ربما كان لهم أولاد فيما بعد أيتاماً من بعدهم فكما يخشون على أولادهم إذا صاروا أيتاماً من بعدهم فليحسنوا معاملة الأيتام في أيديهم وهذا غاية درجات العناية والرعاية. [4]

تلك هي بعض النصوص من القرآن في حسن معاملة اليتيم وعدم الأسة إليه ومن السنة أيضاً الأحاديث العديدة في هذا الشأن أذكر منها روي البخاري بسنده عن سهل قال رسول الله -ﷺ-: "أنا وكافل اليتيم هكذا وأشار بالسبابة والوسطي وفرج

---

(1) سورة البقرة - الأية: ٨٣

(2) سورة البقرة - الأية: ٢٢٠

(3) سورة النساء - الأية: ٩

(4) تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي جـ٩ ص٢٩٠-٢٩٦ بتصرف وتلخيص ط، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة.

بينهما شيئاً" [1] وفي رواية لمسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ-: "كافل اليتيم له أو لغيره، أنا وهو كهاتين في الجنة" وأشار بالسبابة والوسطي.[2]

وعند الأمام أحمد والطبراني مرفوعاً "من ضم يتيماً بين أبوين مسلمين إلى طعامه وشرابه، حتى يستغني عنه وجبت له الجنة" [3] وعند ابن ماجة عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي -ﷺ- قال: "خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم، يحسن إليه، وشر بيت المسلمين، بيت فيه يتيم يساء إليه" [4]

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ٩ ص٣٤٩ كتاب الطلاق باب اللعان والحديث رقم ٥٣٠٤ط، الريان بالقاهرة.

(2) مسلم بشرح النووي جـ١٨ ص٣١٣ كتاب الزهد باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم حديث رقم ٧٣٩٤ ط، دار المعرفة بيروت.

(3) الإمام أحمد في المسند جـ٥ ص٤٥٥ حديث رقم ١٨٥٤٦، كتاب احديث مالك بن الحارث والطبراني في المعجم الكبير جـ١٩ ص٣٠٠ رقم الحديث ٦٧٠ كتاب باب الميم باب مالك ابن عمر القشيري قال عنه الشيخ الألباني صحيح لغيره في صحيح الترغيب والترهيب.

(4) أخرجه ابن ماجة في أبواب الأدب باب حق اليتيم جـ٢ ص٣٩٣ الحديث رقم ٣٧٤ط، دار الفكر بيروت لبنان قال السندي في الحاشية في قوله "خير بيت في المسلمين..... إلخ" في الزوائد في إسناده يحي بن سليمان أبو صالح قال فيه البخاري منكر الحديث وقال أبو حاتم مضطرب الحديث وذكره ابن حيان في الثقات وأخرج ابن خزيمة حديثة في صحيحه وقال في النفس من هذا الحديث شيء فإني لا أعرف يحي بعدالة ولا جرح وإنما خرجت لأنه يختلف العلماء فيه قلت قد ظهر للبخاري وأبو حاتم على ابن خريمة وغيره فجرحهما على عدله أ.هـ حاشية السندي على ابن ماجة جـ٢ ص٣٩٣ط، دار الفكر وقال عنه الشيخ الألباني ضعيف.

ثم بين الرسول -ﷺ- أن مسح رأس اليتيم علاج لقسوة القلب، كما روى الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رجلا شكا إلى رسول الله -ﷺ- قسوة قلبه فقال له إن أردت تليين قلبك فإطعم المسكين وأمسح رأس اليتيم.[1]

وهنا يتجلى سر لطيف في مثالية التشريع الإسلامي حيث يخاطب الله تعالى أفضل الخلق وأرحمهم وأرأفهم بعباد الله الموصوف بقوله تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[2] ويقول تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3] خاطبه ليكون مثالا في أمة قست قلوبها وغلظت طباعها فلا يرحمون ولا يؤدون حق اليتيم ففي رحمة الرسول -ﷺ- وعطفه على اليتامي والإحسان إليهم تعليم لأمته في أن يعاملوا الأيتام الذين تحت أيديهم كما يحبون أن يعامل غيرهم أيتامهم من بعدهم.

فحقيقة هذا التشريع الإلهي الحكيم منذ أربعة عشر قرناً تأتي فوق كل ما تتطلع إليه آمال الحضارات الإنسانية كلها مما يحقق كمال التكامل الاجتماعي بأسمى معانيه المنوه عنه في الآية الكريمة ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾[4] فجعل كافل اليتيم اليوم إنما يعمل حتى فيما بعد لو ترك ذرية ضعافاً، وعبر هنا عن الأيتام بلازمهم وهو الضعف إبرازاً لحاجة اليتيم إلى الإحسان بسبب ضعف فيكونون موضع خوفهم عليهم ضعفهم.

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في السند عن أبي هريرة جـ٢ ص٥١٧ حديث رقم ٧٥٢٢ واللفظ له، مجمع الزوائد للهيثمي كتاب البر والصلة باب ما جاء في الأيتام والأرامل والمساكين جـ٨ رقم الحديث ١٣٠٠٧ وحسنه الشيخ الألباني.

(2) سورة: التوبة - الأية: ١٢٨

(3) سورة: القلم - الأية: ٤

(4) سورة: النساء - الأية: ٩

وهكذا تضع الآية أمامنا تكافلاً اجتماعياً في كفاله اليتيم بل إن اليتيم نفسه يتيم اليوم ورجل الغد فكما تحسن إليه يحسن هو إلى أيتامك من بعدك وكما تدين تدان وإن كان خيراً كان الخير بالخير والبادئ أكرم، وإن شراً كان بمثله والبادئ أظلم.[1]

ومما سبق من الآيات والأحاديث ما يدل على مدى اهتمام القرآن والسنة بالإحسان إلى اليتامي وعدم الإساءة إليهم، وبيان ثواب الإحسان إلى اليتيم حيث أنه يكون مرافقاً للنبي -ﷺ- في الجنة كما سبق في حديثه صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَحُضُّ عَلَىَ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾[2] يقول صاحب المفردات حض الحض التحريض كالحث إلا أن الحث يكون بسوق وسير والحض لا يكون بذلك وأصله من الحث على الحضيض وهو قرار الأرض[3] قوله تعالى: ﴿وَلاَ يَحُضُّ عَلَىَ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ وجاء في المفردات للراغب أيضاً معني المسكين قيل هو الذي لا شيء له وهو أبلغ من الفقير وقوله تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ﴾ فإنه جعلهم مساكين بعد ذهاب السفينة أو لأن سفينتهم غير معتد بها في جنب ما كان لهم من المسكنة أ. هـ[4]

وجاء معني المسكين في المصباح فقال ابن السكيت: "المسكين" الذي لا شيء له والفقير أحسن حالاً من المسكين قال سألت أعرابياً أفقير أنت؟ فقال لا والله مسكين وقال الأصمعي "المسكين" أحسن حالاً من الفقير قال تعالى: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ

---

(1) تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي جـ٩ ص٢٢٩ بتصرف.

(2) سورة: الماعون - الآية: ٣

(3) المفردات للاغب ص١٢٢ كتاب الحاء ط، دار المعرفة بيروت- لبنان.

(4) المفردات للراغب ص٢٣٦ كتاب السين.

لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ ﴾ [1] وقال في حق الفقراء ﴿لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [2]

وقال ابن الأعرابي المسكين هو الفقير وهو الذي لا شيء له فجعلهما سواء والمسكين أيضاً الذليل المقهور، وإن كان غنياً [3] قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [4]

وفي اللسان: المساكين الأذلاء المقهورون وإن كانوا أغنياء. [5] ومما سبق ذكره في معني المسكين يتضح أنه أحسن حالاً من الفقير ومن العلماء من جعل الفقير أحسن حالاً من المسكين واستدل كل منهم على رأيه ومنهم من جعلهما سواء فعلي أي حال فكل منها يحتاج إلى العطف والمعونة والرعاية ومد اليد أليه بالمساعدة ومن هنا فإن المولي عز وجل جعلهما في تعداد من تصرف إليهم الزكاة في قوله عز شأنه ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَآءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ﴾ [6]

قال ابن جرير في معني الآية الفقير هو ذو الفقر والحاجة ومع حاجته يتعفف عن مسألة الناس والتذلل لهم في هذا الموضع والمسكين هو المحتاج والمتذلل للناس بمسألتهم وإنما قلنا إن ذلك كذلك وإن كان الفريقان لم يعطيا إلا بالفقر والحاجة دون

---

(1) سورة: الكهف – الأية: ٧٩

(2) سورة: البقرة – الأية: ٢٧٣

(3) المصباح المنير للفيومي جـ٢ ص٢٠٣ ط، دار المعرفة بيروت– لبنان.

(4) سورة: البقرة – الأية: ٦١

(5) لسان العرب لابن المنظور جـ١٣ ص١٠٩، باب الميم.

(6) سورة: التوبة – الأية: ٦٠

الذلة والمسكنة لإجماع جميع أهل العلم أن المسكين غنما يعطي من الصدقة المفروضة بالفقر وإن معني المسكنة عند العرب الذلة كما قال جل ثناؤه ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ [1]

يعنى بذلك الهون والذلة لا الفقر فإذا كان الله جل ثناؤه قد صنف من قسم له من الصدقة المفروضة قسماً بالفقر فجعلهم صنفين كان معلوماً أن كل صنف منهم غير الآخر وإذا كان كذلك كان لا شك أن المقسوم له باسم الفقير غير المقسوم له باسم الفقر والمسكنة والفقير المعطي ذلك باسم الفقير المطلق هو الذي لا مسكنه فيه والمعطي باسم المسكنة والفقر هو الجامع إلى فقرة المسكنة وهي الذل بالطلب والمسألة فتأويل الكلام إذا كان ذلك معناه ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ [2] المتعفف منهم الذي لا يسأل والمتذلل منهم الذي يسأل ..... إلخ.[3]

ويفهم من كلام ابن جرير أنه هناك فرقاً بين المسكين والفقير وأن الفقير صنفان صنف متعفف لا يسأل وهذا ما جاء في قوله عز شأنه ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً...﴾ [4] والصنف الآخر هو الذي يسأل الناس فجمع إلى فقره ذل المسألة.

---

(1) سورة: البقرة – الأية: ٦١

(2) سورة: التوبة – الأية: ٦٠

(3) تفسير ابن جرير جـ٦ ص١١١ ط، دار الريان بالقاهرة.

(4) سورة: البقرة – الأية: ٢٧٣

ويفهم منه أيضاً أن المسكين غير الفقير لكل منهما نصيب من الصدقة المفروضة فيكون معني قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [1] أن المكذب بالدين من صفته أنه ينهر اليتيم ويزجره، وكذلك من صفته أنه لا يحث على طعام المسكين أي لا يأمر غيره بأنه يعطي هذا المسكين الذليل المحتاج إلى من يعاونه فهو يبخل بمال نفسه ومال غيره على المحاويج.

يقول الخازن في معني الآية أي لا يطعمه ولا يأمر بإطعامه لأنه يكذب بالدين وهذا غاية البخل لأنه يبخل بماله وبمال غيره فلا يأمر غيره بالإطعام.[2]

يقول الإمام الرازي في معني الآية أيضاً ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ ففيه وجهان أحدهما أنه لا يحض نفسه على طعام المسكين وإضافة الطعام إلى المسكين تدل على أن ذلك الطعام حق المسكين، فكأنه منع المسكين مما هو حقه، وذلك يدل على نهاية بخله وقساوة قلبه وخساسة طبعه والثاني لا يحض غيره على إطعام المسكين بسبب أنه لا يعتقد في ذلك الفعل ثواباً والحاصل أنه تعالى جعل علم التكذيب بالقيامة الإقدام على إيذاء الضعيف ومنع المعروف يعني لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لما صدر عنه ذلك، فموضع المرء في كثير من الأحوال ولا يكون آثماً لجواب لأن غيره ينوب منابه أو لأنه لا يقبل أو لمفسدة أخرى يتوقعها أما ها هنا فذكر أنه لا يفعل ذلك إلا لما أنه مكذب بالدين.

السؤال الثاني: لما لم يقل ولا يطعم المسكين؟ الجواب إذا منع اليتيم حقه فكيف يطعم المسكين من مال نفسه، بل هو بخيل من مال غيره وهذا هو النهاية في الخسة فلأن

---

(1) سورة: الماعون – الأية: ٣

(2) تفسير الخازن جـ٦ ص٥٧٨ط، دار إحياء التراث العربي بيروت– لبنان.

يكون بخيلاً بمال نفسه أولى وضده في مدح [1] قال عز شأنه ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [2]

هذا ومن المعلوم أن الإيمان بيوم الدين مما يحمل صاحبه على إطعام اليتيم والمسكين كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىَ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً﴾ [3] وعقب هذه الآية يبين المولى سبحانه وتعالى الدافع لهم على الإطعام فيقول عز شأنه ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللّهِ لاَ نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلاَ شُكُوراً *إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْماً عَبُوساً قَمْطَرِيراً﴾ [4]

ويقول صاحب أضواء البيان أيضاً في معني قوله تعالى: ﴿فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ* وَلاَ يَحُضُّ عَلَىَ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [5] وهنا سؤال: وهو لم خص المكذبين بيوم الدين عمن ارتكب هذين الأمرين دع اليتيم وهو دفعه وزجره وعدم الحض على إطعام المسكين وبالتالي عدم إطعامه هو من عنده.

والجواب أنهما نموذجان ومثالان فقط والأول منها مثال للفعل القبيح والثاني: مثال للترك المذموم ولأنهما عملان أن لم يكونا إسلاميين فهما إنسانيان قبل كل شيء.

وفي الآية الأخرى توجيه للجواب، وهو أن المؤمن يخاف الله يوماً عبوساً وعبر بالعبوس في حق يوم القيامة لئلا يعبس هو في وجه اليتيم والمسكين لضعفهما.

---

(1) تفسير الفخر الرازي جـ٣٢ ص١١٣.

(2) سورة: البلد - الأية: ١٧

(3) سورة: الإنسان - الأية: ٨

(4) سورة: الإنسان - الأية: ١٠

(5) سورة الماعون الآيتان ٢،٣.

ومن جانب آخر فإن التكذيب بيوم الدين يحمل على كل الموبقات إلا أنه قد تجد ما يمنع منها كالقتل والزنا والخمر لتعلق حق الآخرين، وكذلك السرقة والنهب، أما إيذاء اليتيم وضياع حق المسكين فليس هناك من يدفع عنه ولا يمنع إيذاء هؤلاء عنهما وليس إلا بعوض، ولا تكلف إلا عن خوف فالخوف مأمون من جانبي اليتيم والمسكين والجزاء غير مأمول منهما فلم يبق دافع الإحسان إليهما، ولا رادع عن الإساءة لهما إلا الإيمان بيوم الدين والجزاء فيحاسب الإنسان على مثقال الذرة من الخير.

ومما جاء في هذا المعنى أيضا في قوله عز شانه: ﴿كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ* وَلاَ تَحَاضُّونَ عَلَىَ طَعَامِ الْمِسْكِينِ...﴾ [1] يقول صاحب تفسير الوسيط في معنى هذه الآية أي كلا ليس قولكم هذا هو أن الإكرام في الإعطاء والإهانة في المنع هو القبيح فحسب بل هناك ما هو أقبح منه وهو أنكم أيها الكافرون لا تكرمون اليتيم، أي لا تعطفون على اليتيم الذي مات أبوه وهو صغير، بل تتركونه معرضاً للفقر والاحتياج دون أن تعملوا على تقديم يد المساعدة إليه.

﴿وَلاَ تَحَاضُّونَ عَلَىَ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ أي ولا يحث بعضكم بعضاً على إطعام المساكين واليائسين، ونفي الحض على إطعامهم من باب أولى وفي ذلك زيادة لمذمتهم لأنهم لا يطعمون، ولا يحضون عليه لأنهم قوم خلت قلوبهم من الرحمة والعطف.[2]

ويقول الإمام الألوسي قوله سبحانه: ﴿كلا بل لا تكرمون اليتيم... إلخ﴾ انتقل وترق من ذم هذا الإنسان على القبيح من القول، إلى الأقبح من الفعل، ولالتفات

---

(1) سورة: الفجر - الآية: ١٧- ١٨

(2) تفسير الوسيط لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي جـ١٥ ص٥٥٢.

إلى الخطاب لتشديد التقريع وتأكيد التشنيع والجمع باعتبار معني الإنسان إذا المراد الجنس أي بل لكم أفعال وأحوال أشد شرا مما ذكر وأدل على تهالككم على المال حيث أكرمكم الله سبحانه بكثرة المال ولكنكم لم تؤدوا ما يلزمكم فيه من إكرام اليتيم.

والمراد بطعام المسكين إطعامه فالطعام مصدر بمعني الإطعام أو المراد به الشيء المطعوم، ويكون الكلام على حذف مضاف أي بذل طعام المسكين.[1]

ويقول صاحب أضواء البيان أيضا بعد ما بين سبحانه وتعالى حجة المفاهيم في العطاء والمنع، جاء في هذه الآيات يبين حقيقة فتنة المال إيجابا وسلبا جمعا وبذلا فبدأ بأقبح الوجوه من الإمساك من عدم إكرام اليتيم، مهيض الجناح، مكسور الخاطر، والتقاعس عن إطعام المسكين خالي اليد جائع البطن، ساكن الحركة وهذان الجانبان أهم مهمات بذل المال وهم يمسكون عنها وقد بين تعالى أن هذا الجانب هو اقتحام العقبة عند الشدة[2] في قول تعالى في سورة البلد: ﴿**فلا اقتحم العقبة* ومآ أدراك ما العقبة * فك رقبة* أو إطعام في يوم ذي مسغبة * يتيما ذا مقربة* أو مسكينا ذا متربة**﴾ [3]

فقوله تعالى: يتيما ذا مقربة، وخص به لأن الإطعام في حقه أولى من غيره وفي الحديث (الصدقة على المسكين صدقة وهي على القريب صدقتان، صدقة وصله)[4]، والأحاديث في الإحسان إلى اليتيم متضافرة وقد مضى ذكر طرف منها.

---

(1) تفسير الألوسي جـ٣٠ ص١٢٧.

(2) تتمة أضواء البيان جـ٩ ص٢١٧-٢١٨.

(3) سورة: البلد- الآية ١١: ١٦

(4) صحيح ابن خزيمة كتاب الصيام جـ٣ ص٢٧٨ حديث رقم ٢٠٦٧ قال عنه الألباني صحيح عند ابن خزيمة.

فقوله تعالى: أَوْ مِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ قيل المسكين من السكون وقلة الحركة والمتربة اللصوق بالتراب وقد اختلف في التفريق بين المسكين والفقير أيهما أشد احتياجاً وما حد كل منهما فاتفقوا أولاً على أنه إذا افترقا اجتمعا وإذا اجتمعا افترقا وإذا ذكر أحدهما فقط فيشمل الثاني معه ويكون الحكم جامعاً لهما كما هو هنا فالإطعام يشمل الاثنين معاً، وإذا اجتمعا فرق بينهما بالتعريف.[1]

وعلى هذا فالذي يستفاد من السياق أن كلاً من اليتيم والمسكين يحتاج إلى المساعدة، ومد يد المعونة إليهما لما جاء في شأن الإحسان إليهما في كتاب الله وسنة رسوله -ﷺ- والله أعلى وأعلم واجل وأكرم.

---

(1) تتمة تفسير أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي جـ٩ ص٣٣٠،٣٣١ وقد سبق الكلام في بيان الفرق بين الفقير والمسكين وقد ذللت بأية الزكاة.

المبحث الثاني
الوعيد بالويل للساهين عن صلاتهم
والمرائين ومانعي الماعون

ويندرج تحت الآيات من قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ* الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ* وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[1]

مناسبة الآيات لما قبلها: يقول الإمام الرازي في الصلة بين قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ* الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ* وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ وما قبلها وجوه منها:

١- كأنه لما ذكر إيذاء اليتيم وتركه للحض كأن سائلاً قال: أليس أن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر؟ فقال له الصلاة كيف تنهاه عن هذا الفعل المذكر وهي مصنوعة من عين الرياء والسهو.

٢- كأنه يقول إقدامه على إيذاء اليتيم وتركه الحض تقصير فيما يرجع إلى الشفقة على خلق الله وسهوه في الصلاة تقصير فيما يرجع إلى التعظيم لأمر الله فلما وقع التقصير في الأمرين فقد كملت شقاوته فلهذا قال: "فَوَيْلٌ"[2]

ويقول الشيخ عبد الكريم الخطيب في وجه المناسبة أيضاً بين الآيات وسابقتها هي أن الصلاة في حقيقتها نور يضيء ظلام القلوب، ويجلي غشاوة النفوس لأنها أوثق الصلات التي تصل العبد بربه وتقربه منه، وتعرضه لنفحات الرحمة، فتشع في كيانه

---

(١) سورة: الماعون - الآية ٤: ٧

(٢) تفسير الفخر الرازي جـ٣٢ ص١١٣-١١٤ باختصار.

الحب والحنان حيث يضيفهما على عباد الله وخاصة الضعفاء والفقراء اللذين أوصى الله سبحانه وتعالى بهم الأقوياء والأغنياء واسترعاهم إياهم.[1]

سبب النزول:

جاء في سبب النزول للسيوطي عن ابن عباس في قوله: "فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ" الآية قال نزلت في المنافقين كانوا يراءون المؤمنين بصلاتهم إذا حضروا ويتركونها إذا غابوا ويمنعوهم العارية.[2]

فالذي يفهم من هذا أن هذه الآيات نزلت في المدينة لأنه من المعلوم أنه لم يكن في مكة نفاق وإنما كان في مكة إيمان صحيح أو كفر صريح، ولم يظهر النفاق إلا في المدينة وقد تعرضت لأقوال المفسرين عند الكلام عن سبب نزول السورة حيث قال بعضهم سورة الماعون مكية والبعض الآخر قال مدنية ومنهم من قال نزل نصفها بمكة والنصف الآخر بالمدينة، وقد أسندت هذه الأقوال إلى أصحابها وأنها من السور المختلف فيها والله أعلم.

يقول الإمام أبو السعود في معني قوله تعالى: "فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ" الفاء في قوله "فَوَيْلٌ" إلخ إما لربط ما بعدها بشرط المحذوف كأنه قيل إذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذنب والتوبيخ "فَوَيْلٌ"[3]

---

(1) التفسير القرآني للقرآن للشيخ عبد الكريم الخطب جـ١٥ ص٦٨٦ ط، دار الفكر.

(2) أسباب النزول للسيوطي ص٢٢٠ط، دار المنار بالقاهرة.

(3) تفسير أبو السعود جـ

والويل كما جاء في لسان العرب كلمة تقال لكل من وقع في عذاب أو هلكة، قال وأصل الويل في اللغة العذاب والهلاك والويل يدعى به لمن وقع في هلكة يستحقها تقول ويل لزيد ومنه "فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ"[1] فإن وقع في هلكة لم يستحقها قلت ويح لزيد يكون فيه معنى الترحم...[2] الويل واد في جهنم، وقيل باب من أبوابها.

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري قال.... قال رسول الله -ﷺ-: "الويل واد في جنهم يهوى فيه الكافر أربعين خريفاً لو أرسلت فيه الجبال لماعت قبل أن تبلغ قعره، والصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي كذلك".[3]

والذي يناسب السياق هنا أن الويل يراد به الهلاك حيث أن من سها عن صلاته أو فعلها رياء ومنع الماعون استحق هذا الويل نسأل الله العفو والعافية.

قال ابن كثير والويل الهلاك والدمار وهي كلمة مشهورة في اللغة وقال سفيان الثوري عن زياد بن فياض سمعت أبا عياض يقول ويل صديد في أصل جنهم .... إلخ.[4]

---

(1) سورة المطففين الآية ١

(2) لسان العرب لابن منظور جـ١٥ ص٤٢٢، ٤٢٣ باب الواو ط، دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان، المختار الصحاح للرازي ص ٧٣٩ط، دار الحديث القاهرة.

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير باب تفسير سورة المدثر جـ٢ ص٥٥١ حديث رقم ٣٨٧٣ قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي في التلخيص صحيح ط، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان.

(4) تفسير ابن كثير جـ١ ص١٢١.

ويفهم من هذا أن الويل ما عد للعذاب حتى أن الجبل تميع من شدة حرارته وانه بمعنى الهلاك وقد يأتي بمعنى التحسر، فقد جاء في المفردات للإصفهاني ويل قال الأصمعي ويل قبح وقد يستعمل على التحسر، وويس استصغار ووبح ترحم، ومن قال ويل واد في جنهم فإنه لم يرد أن ويلاً في اللغة هو موضوع لهذا، وإنما أراد من قال الله تعالى ذلك فيه فقد استحق مقراً من النار وثبت ذلك له.

قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾[1] قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾[2] وقوله عز شانه: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾[3]

ومن كلام صاحب المفردات يفاد أن مجيء كلمة الويل في القرآن الكريم غير مجيئها في اللغة ففي اللغة بمعني التحسر، وفي القرآن الكريم من يفعل فعلاً يستحق به هذا الجزاء والآيات في سورة الماعون توافق معني ما ذهب إليه صاحب المفردات مما أعده الله من العذاب للساهين عن صلاتهم والمرائين ومانعي الماعون اللذين ذكرتهم هذه السورة.[4]

يقول صاحب التحرير والتنوير في معني قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ فوصفهم بالمصلين إذا تهكم والمراد عدمه أي اللذين لا يصلون، أي ليس بمسلمين.

---

(1) سورة البقرة الآية ٧٩.

(2) سورة الهمزة – الأية: ١

(3) سورة المطففين الآية ١.

(4) المفردات للراغب الأصفهاني ص٥٢٥ كتاب الواو.

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ* وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾[1] وقرينة التهكم وصفهم بـ ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ وعلى القول بأنها مدنية أو أن هذه الآية وما بعدها منها مدنية يكون المراد بـ ﴿لِّلْمُصَلِّينَ﴾ عن ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ المنافقين.

وروي هذا ابن وهب وأشهب عن مالك فتكون الفاء في قوله ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ من هذه الجملة لربطها بما قبلها لأن الله أراد ارتباط هذا الكلام بعضه ببعض.

وجيء في هذه الصفة بصيغة الجمع لأن المراد بـ ﴿الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ﴾ جنس المكذبين على أظهر الأقوال فإن كان المراد معيناً على بعض الأقوال المتقدمة كانت صيغة الجمع تذيلاً يشمله وغيره فإنه واحد من المتصفين بصفة ترك الصلاة وصفة الرياء وصفة منع الماعون.

وقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ صفة للمصلين مقيدة للحكم الموصوف فإن الويل للمصلي الساهي عن صلاته لا للمصلي على الإطلاق فيكون قوله ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ترشيحاً للتهكم الواقع في إطلاق وصف المصلين عليهم.

وعد ﴿سَاهُونَ﴾ بحرف ﴿عَن﴾ لإفادة أنهم تجاوزا إقامة صلاتهم وتركوها ولا علاقة بهذه الآية بأحكام السهو في الصلاة.

---

(1) سورة المدثر - الآية: ٤٣ - ٤٤

وقوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾ يجوز أن يكون معناه الذين لا يؤدون الصلاة إلا رياء فإذا خلو تركوا الصلاة ويجوز أن يكون معناه الذين يصلون دون نية وإخلاص فهم في حالة الصلاة بمنزلة الساهي عما يفعل فيكون إطلاق "سَاهُونَ" تهكماً [1]

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوَاْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[2]

ويقول صاحب أضواء البيان اختلف في المصلين الذين توجه إليهم الوعيد بالويل هنا والجمهور على أنهم الذين يسهون عن أدائها ويتساهلون في أمر المحافظة عليها.

وقيل عن الخشوع فيها وتدبر معناها، ولكن الصحيح هو الأول وقد جاء عن عطاء وابن عباس انهما قالا الحمد لله الذي قال عن صلاتهم، ولم يقل في صلاتهم، كما أن السهو في الصلاة لم يسلم منه أحد حتى أنه وقع من النبي صلى الله عليه وسلم.

روي البخاري بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال النبى -ﷺ- إحدى صلاتي العشي قال محمد واكثر ظني أنها العصر ركعتين ثم سلم ثم قام إلى خشبة في مقدم المسجد فوضع يده عليها، وفيهم أبو بكر وعمر وضي الله عنهما فهابا أن يكلماه، وخرج سرعان الناس فقالوا أقصرت الصلاة؟ ورجل يدعوه رسول الله -ﷺ- ذا

---

(1) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور جـ٣٠ ص٥٧٦، ٥٧٧ط، الدار التونسية للنشر- تونس

(2) سورة النساء الآية ١٤٢.

اليدين فقال: "أنسيت أم قصرت؟ فقال لم أنس ولم تقصر. قال بل قد نسيت فصلي ركعتين ثم سلم، ثم كبر فسجد مثل سجوده أو أطول".[1]

ومن هنا كانت مشروعية سجود السهو فالرسول -ﷺ- لم ينس ولم تقصر الصلاة وإنما كان ذلك تشريعاً وتعليماً لإمته حيث يقع للبعض منهم السهو في الصلاة بدون عمد فالله يرفع عنهم هذا الخطأ أو النسيان ولا يؤاخذهم عليه، وقد جاء في الحديث ما أخرجه ابن ماجه بسنده عن أبي زر الغفاري رضى الله عنه قال قال رسول الله -ﷺ-: "إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه" وكذا روي بسنده عن ابن عباس عن النبي-ﷺ- قال" "إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه".[2]

وقد عقد الفقهاء باب سجود السهو تصحيحاً لذلك لذلك بقى من المراد بـ ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قيل نزلت في أشخاص بأعيانهم، وقيل في كل من

---

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري كتاب السهو باب من يكبر في سجدتي السهو حديث ١٢٢٩، مسلم بشرح النووي كتاب المساجد باب السهو في الصلاة والسجود له جـ٥ ص٧٠ حديث١٢٨٨.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه باب طلاق المكره والناسي جـ٢ ص٦٣٠ بالرواتين عن أبي زر وابن عباس حديث رقم ٢٠٧٠-٢٠٧١ وقال عند السندي في الحاشية "قوله عن أبي زر.... إلخ" ثم حديث أبي زر من الزوائد وإسناده ضعيف لاتفاقهم على ضعف أبي بكر الهذلي، كذا في الزوائد قوله" وضع عن امتي ..... إلخ" في الزوائد إسناده صحيح عن سلم من الإنقطاع والظاهر أنه منقطع بدليل زيادة عبيد بن نمير في الطريق الثاني وليس ببعيد أن يكون السقط من جهة الوليد ابن مسلم فإنه كان يدلس

آخر الصلاة عن أول وقتها، أو عن وقتها كله، إلى غير ذلك أو عن أدائها في المساجد والجماعة وقيل في المنافقين.[1]

ويؤيد ما ذهب إليه صاحب الأضواء ما ذكره صاحب الكشاف فقال: فإن قلت أي فرق بين قوله عن "صَلَاتِهِمْ" وبين قولك في صلاتهم قلت معني أنهم ساهون عنها سهو ترك وقلة الإلتفات إليها وذلك فعل المنافقين أو الفسقه الشطار من المسلمين ومعني ﴿في﴾ أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس لا يكاد يخلو منه أحد وعن أنس رضى الله عنه قال: "الحمد لله على أن لم يقل في صلاتهم"[2]

ويقول الإمام ابن كثير قال: "عطاء ابن دينار الحمد لله الذي قال ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ولم يقل ﴿عن صلاتهم ساهون﴾ وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائماً أو غالباً وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور بها، وأما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها فاللفظ يشمل ذلك كله، ولكن من اتصف بشيء من ذلك قسط من هذه الآية ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم لله نصيبه منها وكمل له النفاق العملي".[3]

---

(1) تتمة أضواء البيان في إيضاح بالقرآن للشنقيطي جـ٩ ص٣٤٥، ٣٤٦ بتصرف وتلخيص.

(2) تفسير الكشاف جـ٤ ص ١٢٦ط، دار المعرفة بيروت– لبنان.

(3) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٥٩٢.

كما ثبت في صحيح مسلم وغيره أن رسول الله -ﷺ- قال: "تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً".[1]

وفي مقابل هذا قوله عز شأنه: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾ في المنافقين تاركي الصلاة أو مضيعيها جاءت الآية قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىَ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ* أُوْلَـئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ* الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [2] في بيان صفات المؤمنين وما استحقوا به جنة الفردوس ومن بين صفاتهم المحافظة على الصلاة في أوقاتها.

وقال عز وشأنه: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً * إِلاَّ الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَىَ صَلاَتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾ [3] ثم بعدها يقول : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىَ صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [4]

يقول صاحب الكشاف: "فإن قلت كيف قال: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىَ صَلاَتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾ ثم قال ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىَ صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ قلت معنى دوامهم عليها أن

---

(1) أخرجه الإمام مسلم بشرح النووي جـ٥ ص١٢٥ كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب التبكير بالعصر حديث رقم ١٤١١ واللفظ له ط، دار المعرفة بيروت- لبنان، أبو داود في سننه كتاب الصلاة باب في وقت صلاة العصر والحديث رقم ٤١٣ والنسائي في كتاب المواقيت باب التشديد في تأخير العصر والحديث رقم ٥١٠.

(2) سورة: المؤمنون - الأية: ٩-١١.

(3) سورة المعارج الآيات من ١٩-٢٣.

(4) سورة: المعارج - الأية: ٣٤

يواظبوا على أدائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل كما روى عن النبي -ﷺ-: "أفضل العمل أدومة وإن قل"[1] وقول السيدة عائشة رضى الله عنها: "كان عمله ديمة" [2] ومحافظتهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ومواقيتها ويقيموا أركانها ويكملوها بسننها وآدابها ويحفظوها من الإحباط باقتراف المآثم فالدوام يرجع إلى أنفس الصلوات والمحافظة إلى أجوالها.[3]

ويقول صاحب أحكام القرآن: قال عقبة بن عامر في معني قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ قال هم الذين إذا صلوا لا يلتفتون يميناً ولا شمالاً ولا خلف وينظرون إلى قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ فإن الملتفت ساه عن صلاته وفي الصحيح ﴿وكان أبو بكر لا يتلفت في صلاته﴾ [4] فكان عليها دائماً ولها مراعياً والآية عامة في المحافظة عليها وعلى مواقيتها على فرضها ونفلها.[5]

ويقول ابن كثير في معني قوله: ﴿ إلا المصلين ﴾ أي أن الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم إلا من عصمه الله ووفقه وهداه إلى الخير ويسر له أسبابه وهم:

---

(1) أخرجه الإمام مسلم بشرح النووي كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره جـ٥ ص٣١٣ والحديث رقم ١٨٢٥.

(2) المرجع السابق حديث ١٨٢٦.

(3) تفسير الكشاف جـ٤ ص١٤٠.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأذان من دخل ليؤم الناس فجاء الإمام فتأخر الأول أو لم يتأخر جازت صلاته جـ١ ص١١٠ط، البهية، مسلم بشرح النووي كتاب الصلاة باب تقديم الجماعة من يصلى بهم إذا تأخر الإمام ..... إلخ جـ٤ ص٣٦٥ ح ٩٤٨.

(5) أحكام القرآن لابن العربي جـ٤ ص١٨٥٩ ط، دار الفكر العربي.

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ قيل معناه يحافظون على أوقاتها وواجباتها قاله ابن مسعود ومسروق وإبراهيم النخعي وقيل بالدوام هنا السكون والخشوع كقوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [1] قاله عقبة بن عامر ومنه الماء الدائم وهو الساكن الراكد وهذا يدل على وجوب الطمأنينة في الصلاة فإن الذي لا يطمئن في ركوعه ليس بدائم على صلاته لأنه لم يسكن فيها ولم يدم بل ينقرها نقر الغراب فلا يفلح في صلاته، وقيل المراد بذلك الذين إذا عملوا عملاً داوموا عليه وأثبتوه كما جاء في الصحيح عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها عن رسول الله -ﷺ- انه قال: "أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل" [2] قالت وكان رسول الله -ﷺ- إذا عمل عملاً داوم عليه. [3]

وقال قتادة في معني قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [4] ذكر لنا أن دانيال عليه السلام نعت أمة محمد -ﷺ- فقال: يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم أو ثمود ما أخذتهم الصيحة فعليكم بالصلاة فإنها خلق للمؤمنين حسن ..... ثم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [5] أي على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها فأفتتح الكلام بذكر

---

(1) سورة: المؤمنون – الأية: ١- ٢

(2) أخرجه الإمام مسلم بشرح النووي جـ٥ ص٣١٣ حديث رقم ١٨٢٧ والكتاب والباب سبق ذكرهما.

(3) أخرجه مسلم بشرح النووي واللفظ له جـ٥ ص ٣١٢-٣١٣ صحيح البخارى فى كتاب اللباس باب الجلوس على الحصير جـ٤ ص ٣٠ ط البهية.

(4) سورة: المعارج – الأية: ٢٣

(5) سورة: المعارج – الأية: ٣٤

الصلاة وأختتمه بذكرها فدل على الاعتناء بها والتنويه بشأنها كما قال في أول سورة المؤمنون: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1] سواء لهذا قال هناك ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[2] وقال ها هنا ﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾[3] أي مكرمون بأنواع الملاذ والمسار.[4]

ومما تقدم ذكره في هذه الآيات يتضح لكل مسلم عاقل أهمية الصلاة وثوابها وأهمية الإخلاص في أدائها، وعدم الغفلة فيها أو السهو عن أدائها لأنها الصلة بين العبد وربه وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة فإن صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله لأنها تنهي عن الفحشاء والمنكر قال عز شأنه: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾[5] فالصلاة عماد الدين وركن من أركانه الخمسة التي بني عليها الإسلام بل من أهمها بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعاقب تاركها ويكفر بالإجماع من أنكر فرضيتها أو استخف بها أو تركها كسلاً ويستحق العذاب قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[6] ولقد مدح الله مقيمي الصلاة في مواضع كثيرة في كتابه

---

(1) سورة: المؤمنون - الأية: ١

(2) سورة: المؤمنون - الأية: ١٠- ١١

(3) سورة: المعارج - الأية: ٣٥

(4) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٤٥٠.

(5) سورة: العنكبوت - الأية: ٤٥

(6) سورة: مريم - الأية: ٥٩

الحكيم فقال عز شأنه: ﴿رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْماً تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ﴾[1] وقوله عز شأنه: ﴿وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَآ أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلاَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[2] وقوله عز شانه: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[3].

وغير هذا في شأن الصلاة والمحافظة عليها وبيان ثوابها أو في شان من يتركها ويعاقب على تركها مما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية مما لا يتسع المجال لذكره والذي أوردته هنا إنما على سبيل المثال لا الحصر فإن موضوع الصلاة وأهميتها ومكانتها بين الأركان التي بني عليها الإسلام يحتاج إلى أبحاث وأبحاث فالذي ذكرته قليل من كثير والله أعلى وأعلم.

﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾[4] يقول صاحب المصباح المنير الرياء بمعني ..... ورأيت الشيء رؤية أبصرته بحاسة البصر، ومنه الرياء وهو إظهار العمل للناس ليروه ويظنوا به خيراً، فالعمل لغير الله نعوذ بالله منه.[5]

يقول صاحب أحكام القرآن في معني الآية قال ابن وهب قال مالك: هم المنافقون الذين يراءون الناس بصلاتهم يرى المنافق الناس أنه يصلي طاعة وهو تقية والفاسق انه يصلي عبادة وهو يصلي ليقال أن يصلي وحقيقة الرياء طلب ما في الدنيا

---

(1) سورة: النور – الأية: ٣٧

(2) سورة: الحج – الأية: ٣٥

(3) سورة: البقرة – الأية: ٣

(4) سورة: الماعون – الأية: ٦

(5) المصباح المنير للفيومي جـ١ ص٢٦٥ كتاب الراه الراء مع الواو وما يثلثها.

بالعبادات، وأصله طلب المنزلة في قلوب الناس، فأولها تحسين السمت وهو من أجزاء النبوة ويريد بذلك الجاه والثناء.

ثانيها: الرياء بالثياب القصار والخشنة ليأخذ بذلك هيئة الزهد في الدنيا.

ثالثها: الرياء بالقول بإظهار التسخط على أهل الدنيا وإظهار الوعظ والتأسف على ما يفوت من الخير والطاعة.

رابعها: الرياء بإظهار الصلاة والصدقة أو بتحسين الصلاة لأجل رؤية الناس وذلك يطول وهذا دليله.[1]

ويقول صاحب أضواء البيان: أما الرياء: فقيل مشتق من الرؤية والمراد إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها فيحمد عليها، وقد جاء في الحديث: "اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل"[2] وجاء قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا﴾[3]

وبيان الشرك فيه أنه يعمل العمل مما هو أصلاً لله، كالصلاة أو الصدقة أو الحج ولكنه يظهره لقصد أن يحمد الناس عليه.

---

(1) تفسير آيات الأحكام لابن العربي ص١٩٨٤، ولعله يقصد بالدليل قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾.

(2) أخرجه الإمام أحمد في المسند جـ٥ ص٥٤٩ حديث رقم ١٩١٠٩ والمعجم الوسيط للطبراني جـ٤ ص١٠٤ حديث ٣٤٧٩ قال عنه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب حسن لغيره.

(3) سورة الكهف الآية ١١٠.

فكان هذا الجزء منه مشاركة مع الله حيث أصبح من عمله جزء الطلب الثناء من الناس عليه، وقد جاء حديث أبي هريرة رضى الله عنه قال رسول الله -ﷺ-: "قال تعالى انا اغني الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك معي غيري تركته وشركه"[1]

أما حكم الرياء في العمل، ففي هذا النص دلالة على رد العمل على صاحبه وتركه له فقيل: انه يكون لاله فيه ولا عليه منه وقيل لا يخلو من ذم[2] والرياء في الغالب فعل المنافقين لأنهم يريدون ثناء الناس عليهم ومدحهم إياهم قال عز شانه: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[3]

يقول صاحب الكشاف في معني الآية ﴿يخادعون الله﴾ يفعلون ما يفعل المخادع من إظهار الإيمان وإبطان الكفر "وهو خادعهم" وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والأموال في الدنيا وأعد لهم الدرك الأسفل من النار في الآخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة وإحلال بأس ونقمة ورعب دائم .... "كسالي" أي يقومون متثاقلين متقاعسين كما نري من يفعل شيئاً على كره لا عن طيبة نفس ورغبة.

﴿يراءون الناس﴾ يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة.... ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ولا يصلون إلا قليلاً لأنهم لا يصلون قط غائبين عن أعين الناس إلا ما

---

(1) اخرجه الإمام مسلم بشرح النووي جـ١٨ ص٣١٦ كتاب الزهد والرقائق باب من أشرك في عمل غير الله والحديث رقم ٧٤٠٠.

(2) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي جـ٩ ص٥٥١.

(3) سورة: النساء - الأية: ١٤٢

يجاهرون به وما يجاهرون به قليل أيضاً، لأنهم ما وجدوا ممدوحة من تكلف ما ليس في قلوبهم لم يتكلفوه أو لا يذكرون بالتسبيح والتهليل إلا ذكراً قليلاً في الندرة، وهكذا ترى كثيراً من المتظاهرين بالإسلام لو صحبته الأيام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق به أوقاته لا يفتر عنه ويجوز أن يراد بالقلة العدم فإن قلت ما معنى المراءاة وهي مفاعلة من الرؤيا قلت وجهان: أحدهما أن المرائي يريهم عمله وهم يرون استحسانه.

والثاني: أن يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس يعني رآهم كقولك نعمة وناعمة .... إلخ.[1]

ويقول الإمام الرازي في معنى قوله عز شأنه: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ فاعلم أن الفرق بين المنافق والمرائي أن المنافق هو المظهر للإيمان المبطن للكفر، والمرائي المظهر ما ليس في قلبه من زيادة خشوع ليعتقد فيه من يراه أن متدين أو تقول المنافق لا يصلي سراً والمرائي تكون صلاته عند الناس أحسن ثم ذكر العلاقة بين الصلاة والرياء وبين أن الصلاة المقبولة ينبغي أن تكون خالية من الرياء فقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ يفيد أمرين إخراجها عن الوقت، وكون الإنسان غافلاً فيها، قوله: ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ يفيد المراءاة فظهر أن الصلاة يجب أن تكون خالية عن هذه الأحوال الثلاثة أ.هـ[2]

فالذي يفاد مما سبق أن الرياء قد يكون سبباً في إحباط العمل إذا قصد المرائي بعمله ثناء الناس عليه، فحينئذ يبطل ثواب عمله، لأنه لم يقصد به الإخلاص لله

---

(1) تفسير الكشاف جـ١ ص٥٧٣، ٥٧٤ ط، دار المعرفة.

(2) تفسير الفخر الرازي جـ٢ ص١١٥.

سبحانه وتعالى ولقد نفر القرآن الكريم من الرياء كمرض اجتماعي له خطره الملحق إذا فشي في مجتمع، أو تمكن من فرد فقل عز شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾[1] فأوضح سبحانه هنا كيف أن الرياء يذهب بالثواب ولا يبقي عليه إذ أن ثواب المرائي أشبه بتراب موضوع على حجر أملس فإذا ما نزل عليه وابل من المطر لم يبقي له أثر، وكذلك العمل إذا صاحبة أو دفع إليه رياء.

يقول ابن كثير في معني قوله: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾[2] أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كما تبطل صدقة من راءي الناس فأظهر لهم أنه يريد وجه الله وإنما قصده مدح الناس له أو شهرته بالصفات الجميلة ليشكر بين الناس أو يقال أنه كريم أو نحو ذلك من المقاصد الدنيوية مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه ولهذا قل: ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ثم ضرب تعالى مثل ذلك المرائي بإنفاقه قل الضحاك والذي يتبع نفقته منا أو أذى فقل: ﴿فمثله مثل صفوان﴾ وهو جمع صفوانه فمنهم من يقول الصفوان يستعمل مفرداً أيضاً وهو الصفا وهو الصخر الأملس عليه تراب فأصابه وابل وهو المطر الشديد "فَتَرَكَهُ صَلْدًا" أي فترك الوابل ذلك الصفوان صلداً أي أملس يابساً أي لا شيء عليه من ذلك التراب بل قد ذهب كله أي وكذلك أعمل المرائين تذهب وتضمحل عند الله وإن ظهر لهم أعمل

---

(1) سورة البقرة – الأية: ٢٦٤.

(2) سورة البقرة الآية ٢٦٤.

فيما يرى الناس كالتراب[1] ولهذا قال: ﴿ لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين﴾[2]

فالذي يرائي في عمله وعبادته رجل مريض النفس مزعزع العقيدة يستحق مقت الله وسخطه ولهذا قال عز شأنه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ* الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ*وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[3]

ولقد خاف الرسول -ﷺ- من الرياء على أمته أن يغزوا قلوبها فينجح بها عن طريق الإخلاص لله والاتجاه إليه كما تقضي بذلك حقيقة العبودية والإخلاص فيها لله لأنه وسيلة إلى القرب من الله والفوز بثوابه والرياء ضد الإخلاص.

وكأن الرسول -ﷺ- أستشف من وراء الغيب أن ذلك المرض سيحل في القلوب فيدنسها ويفسدها حتى أنه بكى -ﷺ- لذلك فقال شداد بن أوس رأيت رسول الله -ﷺ- يبكي فقلت ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: قال رسول الله -ﷺ-: "إن ما أتخوف عليه على أمتي الإشراك بالله ما أني لست أقول يعبدون شمساً ولا قمراً ولا وثناً ولكن أعمالاً لغير الله وشهوة خفية".[4]

---

(1) تفسير ابن كثير جـ١ ص٣٢٦.

(2) سورة البقرة الآية ٢٦٤.

(3) سورة الماعون – الآية: ٤– ٧

(4) أخرجه ابن ماجة باب الرياء والسمعة جـ٢ ص٥٥١ رقم ٤٧٧٢ قال عنه السندي في إسناده عامر ابن عبد الله لم أو من تكلم فيه وباقي رجال الإسناد ثقات.

ولقد رسم الرسول -ﷺ- صورة لطائفة من هؤلاء المرائين، وعرف بمصيرهم الذي ينتظرهم لقاء ما ارتكبوا في الحياة من الشرك الأصغر وعدم الإخلاص لله فيما يعملون.

روى الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: "إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه، رجل استشهد فإتي به فعرفه نعمه فعرفها ثم قال فيما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت قال كذبت ولكنك قاتلت لأن يقال جريء فقد قيل، ثم أمر به فحسب على وجهه حتى إلقي في النار، ورجل تعلم العلم وعلمه وقرأ القرآن، فأتي به فعرفها قال فيما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن، قال كذبت ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال هو قارىء فقد قيل ثم أمر به فحسب على وجهه حتى القى في النار، ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال كله، فأتى به فعرفه نعمة فعرفها قال فيما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك قال كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار."[1]

فالرياء طريق يسلك بصاحبه إلى النار، لأنه طريق معوج يبعد بمن يسلكه عن الإخلاص لله في العبادة والإخلاص هو الطريق المستقيم لقبول الأعمال الصالحة ابتغاء مرضاة الله عز وجل حيث أمر بذلك فقال جل شأنه: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ

---

(1) أخرجه الإمام مسلم بشرح النووي جـ١٣ ص٥٢ كتاب الجهاد باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار والحديث رقم ٤٩٠٠.

وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1] وقوله عز شانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[2]

يقول الإمام الرازي في معني قوله "مُخْلِصِينَ" نصب على الحال فهو تنبيه على ما يجب من تحصيل الإخلاص من ابتداء الفعل إلى انتهائه، والمخلص هو الذي يأتي بالحسن لحسنه، والواجب لوجوبه فيأتي بالفعل لوجهه مخلصاً لربه لا يريد رياء ولا سمعة ولا غرض آخر بل قالوا لا يجعل طلب الجنة مقصوداً ولا النجاة عن النار مطلوباً وإن كان لابد من ذلك، وفي التوراة ما أريد به وجهي فقليله كثير وما أريد به غير وجهي فكثيره قليل، وقالوا من الإخلاص أن لا يزيد في العبادات عبلة اخرى لأجل الغير.... وإن زادت في الخشوع لأن الناس يرونه لم يجز..... [3] إلخ

ويقول الإمام الغزالي اعلم أن العمل إذا لم يكن خالصاً لوجه الله تعالى بل أمتزج به شوب من الرياء أو حظوظ النفس فقد اختلف الناس في ذلك هل يقتضي ثواباً أم يقتضي عقاباً أم لا يقتضي شيئاً أصلاً فلا يكون له ولا عليه؟

أما الذي لم يرد به إلا الرياء فهو عليه قطعاً وهو سبب المقت والعقاب وأما الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب وإنما النظر في المشوب، وظاهر الإخبار تدل على أنه لا ثواب له.

---

(1) سورة غافر - الأية: ١٤

(2) سورة البينة - الأية: ٥

(3) تفسير الفخر الرازي جـ٣٢ ص٤٥.

وليس تخلوا الإخبار من تعارض فيه والذي ينقدح لما فيه والعلم عند الله أن ينظر إلى قدر قوة الباعث، فإن كان الباعث الديني مساوياً للباعث لنفسي تقاوماً وتساقطاً وصار العمل لا له ولا عليه، وإن كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس بنافع وهو مع ذلك مضر ومفض للعقاب، نعم العقاب الذي فيه أخف من العقاب الذي تجرد للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرب، وإن كان قصد التقرب اغلب بالإضافة إلى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الديني[1] وهذا لقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾[2] وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾[3]

هذا ومن المعلوم أن الكلام عن الرياء ومضاره وعن الإخلاص وفضائله مما يحتاج إلى بحوث مستقلة، وإنما الذي أشرت إليه مما يدور حول نص الآية ويجلي معناها ثم لا يفوتني أن انبه على أن إظهار الفرائض لا شيء فيه.

يقول الإمام الرازي: أعلم انه يجب إظهار الفرائض من الصلاة والزكاة لأنها شعائر الإسلام وتاركها مستحق للعن فيجب نفي التهمة بالإظهار، إنما الخفاء في النوافل إلا إذا اظهر النوافل ليقتدي به وعن بعضهم انه رأي في المسجد رجلا يسجد

---

(1) إحياء علوم الدين للإمام الغزالي جـ٤ ص٤٠٥ط، دار الكتب العلمية بيوت.

(2) سورة: الزلزلة – الأية: ٨

(3) سورة: النساء – الأية: ٤٠

للشكر وأطالها فقال ما أحسن هذا لو كان في بيتك، لكن مع هذا قالوا لا يترك النوافل حياء ولا يأتي بها رياء....[1]

ويقول الإمام النسفي كذلك، ولا يكون الرجل مرائياً بإظهار الفرائض فمن حقها الإعلان والإخفاء في التطوع أولى فإن اظهر قاصداً للاقتداء به كان جميلاً.[2]

ويقول الخازن أيضاً: أما من يظهر النوافل ليقتدي به ويأمن على نفسه الرياء فلا بأس بذلك وليس بمراء.[3]

والذي يفهم مما سبق ذكره فيما ذهب إليه البعض من المفسرين انه لا مانع من إظهار الفرائض لنفي التهمة عن نفسه وكذلك النوافل أيضاً إذا أمن على نفسه من الرياء ليقتدي به في فعل الطاعات والإكثار منها والله أعلم.

ثم لما شرح أمر الصلاة أعقبه بذكر الصلات فقال عز شانه: قال تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ المنع في اللغة ضد الإعطاء يقول صاحب مختار الصحاح المنع ضد الإعطاء وقد منع من باب قطع فهو مانع وممنوع ومناع للمبالغة.[4]

وفي المعجم الوجيز ﴿منعه﴾ الشيء ومنه منعاً حرمه إياه، ويقال منعه من حقه ومنع حقه منه.[5]

---

(1) تفسير الفخر الرازي جـ٣٢ ص١١٥.

(2) تفسير النسفي جـ٦ ص٥٧٨.

(3) تفسير الخازن جـ٦ ص٥٧٨.

(4) المختار الصحاح لرازي ص٦٣٦ والمصباح لمنير للفيومي ص٢٤٧ كتاب الميم الميم مع العين وما يثلثها.

(5) المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية ص٥٩٢ط، وزارة التربية والتعليم بالقاهرة.

وفي المفردات للراغب ﴿منعه﴾ المنع يقال في ضد العطية يقال رجل مانع ومناع أي بخيل.[1]

قال تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾[2] وقال جل شأنه: ﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾[3]

ويفهم مما سبق ذكره أن المنع ضد الإعطاء وهو مما يناسب مجيئه في الآية حيث إن هؤلاء لا يمدون يد المعونة إلى من يطلبها منهم أو لا يؤدون الزكاة كما سيتضح عند تفسير الآية.

"الْمَاعُونَ" جاء في لسان العرب الماعون الطاعة يقال ضرب الناقة حتى أطاعت مأعونها وانقادت..... وفي التنزيل ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾

روى عن علي رضوان الله عليه انه قال: "الماعون" الزكاة وقال الفراء: سمعت بعض العرب يقول "الماعون" هو الماء بعينه قال وأنشدني فيه: يمج صبيرة الماعون صبا.

قال الزجاج: من جعل الماعون الزكاة فهو فعول من المعن وهو الشيء القليل فسميت الزكاة ماعوناً بالشيء القليل لأنه يؤخذ من المال ربع عشره وهو قليل من كثير والمعن والماعون المعروف كله لتيسره وسهولته لدينا لافتراض الله تعالى إياه علينا.

قال ابن سيده: "الماعون" الطاعة والزكاة وعليه العمل وهو من السهولة والقلة لأنه جزء من كل قال الراعي:

---

(1) المفردات للراغب كتاب الميم ص٤٧٥ .

(2) سورة الماعون الآية ٧.

(3) سورة القلم – الآية: ١٢

قـوم علـى التـنزيل لمـا يمعنـوا ماعونـهم ويبدلـوا التـنزيلا

و"الماعون" إسقاط البيت كالدلو والفأس والقدر والقصعة، وهو منه أيضاً لأنه لا يكرس معطيه ولا يغني كاسبه، وقال ثعلب "الماعون" ما يستعار من قدوم وشفره..... و"الماعون" اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس وغيرها مما جرت العادة بعاريته.... ومن الناس من يقول "الماعون" أصله ماعون والألف عوض عن الهاء.(1)

ويقول صاحب مختار الصحاح: "الماعون" اسم جامع لمنافع البيت كالقدر والفأس ونحوهما، والماعون أيضاً الماء والماعون أيضاً الطاعة وقوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾

قال أبو عبيدة: "الماعون" في الجاهلية كل منفعة وعطية، وفي الإسلام الطاعة والزكاة إلخ.(2)

وفي المصباح المنير: "الماعون" اسم جمع لأثاث البيت كالقدر والفأس والقصعة، و"الماعون" أيضاً الطاعة.(3)

هذا هو معني "الماعون" في اللغة كما ذكره في العلماء وكلها يجمعها المنفعة فلطاعة في عمومها ينتفع بها فاعلها، والماعون المتعارف عليه ينتفع به أيضاً كما ذكر العلماء وسأبين هذه المعاني عند تفسير الآية مما يزيد لمعني وضوحاً وجلاء.

---

(1) لسان العرب لابن منظور جـ١٣ ص١٤٦،١٤٧ باب الميم.

(2) المختار الصحاح للرازي ص٦٢٨ باب الميم.

(3) المصباح المنير للفيومي جـ٢ ص٢٤٧ كتاب الميم، الميم مع العين وما يثلثها.

المناسبة بين قوله تعالى: (يُرَآءُونَ) وبين قوله: (وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ)

يقول الإمام الرازي في وجه المناسبة كأنه تعالى يقول: الصلاة لي والماعون للخلق، فأم يجب جعله لي يعرضونه على الخلق وما هو حق الخلق يسترونه عنهم فكأنهم لا يعاملون الخلق والرب إلا على العكس.[1]

يقول الإمام ابن كثير في معني قوله: (وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ) أي لا احسنوا عبادة ربهم ولا احسنوا إلى خلقه حتى ولا بإعارة ما ينتفع به ويستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم، فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى.[2]

واختلف في المراد بـ "الماعون" فيقول الإمام بن جرير: يعني بالماعون الطاعة والزكاة واختلف أهل التأويل في الذي عنى به من معان "الماعون" في هذا الموضع فقال بعضهم الزكاة المفروضة..... فعن مجاهد قال: قال علي رضى الله عنه: الماعون الزكاة..... وعن أبي المغيرة قل سأل رجل ابن عمر عن الماعون قال: هو المال الذي لا يؤدي حقه..... وعن مالك ابن الحرث عن ابن مسعود قال الدلو والفأس والقدوم.... وعن مجاهد عن ابن عباس قال: هو متاع البيت.... وبعد أن ذكر ابن جرير الروايات المتعددة في المراد بالماعون قال: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب إذا كان الماعون هو ما وصفنا قبل وكان الله قد أخبر عن هؤلاء القوم وانهم يمنعونه الناس خبر عاماً من غير أن يخص من ذلك شيا أن يقال أن الله وصفهم بأنهم يمنعون الناس ما يتعاورنه أهل الحاجة والمسكنة ما أوجب الله لهم في أموالهم من الحقوق لأن كل ذلك من المنافع التي ينتفع بها الناس بعضهم من بعض.[3]

---

(1) التفسير الكبير للفخر الرازي جـ٣٢ ص١١ بتصرف.

(2) تفسير ابن كثير جـ٤ ص٥٩٤.

(3) تفسير ابن جرير الطبري جـ١٢، ص٢٠٥،٢٠٦ باختصار.

ويقول الإمام البيضاوي في معني ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ الزكاة وما يتعاوره في العادة والفاء جزائية والمعني إذا كان عدم المبالاة باليتيم من ضعف الدين الموجب للذنب والتوبيخ فالسهو عن الصلاة التي عماد الدين والرياء الذي هو شعبه من الكفر ومنع الزكاة التي قنطرة لإسلام أحق بذلك ولذلك رتب عليه الويل أو للسببية فويل لهم وإنما وضع المصلين موضع الضمير للدلالة على سوء معاملتهم مع الخالق والخلق.(١)

ويقول الإمام الرازي في معني قوله عز شأنه: ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ فيه أقوال الأول وهو قول أبي بكر وعلى وابن عباس وابن الحنفية وابن عمر والحسن وسعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والضحاك هو الزكاة..... لأن الله تعالى ذكره عقيب الصلاة فالظاهر أن يكون هو الزكاة.

والقول الثاني وهو قول أكثر المفسرين أن "الماعون" اسم لما لا يمنع في العادة ويسأله الفقير والغني، وينسب مانعه إلى سوء الخلق ولؤم الطبيعة كالفأس والقدر والدلو والمقدحة والغربال والقدوم، ويدخل فيه الملح والماء والنار فإنه روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها: ثلاثة لا يحل منعها الماء والنار والملح.(٢)

ومن ذلك أن يلتمس جارك أن يخبز في تنورك أو يضع متاعه عندك يوم أو نصف يوم، وأصحاب هذا القول قالوا: "الماعون" فاعول من المعن، وهو الشيء القليل ومنه ما له سعته ولا منعه أي كثير، ولا قليل وسميت الزكاة معوناً لأنه يؤخذ من المال ربع العشر، فهو قليل من كثير، ويسمى ما يستعار في العرف كالفأس والشفرة ماعوناً وعلى

---

(١) تفسير البيضوي جـ٦ ص٥٧٩.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط جـ١ ص٤٠٣ حديث ١٠٢٠ قال عنه الشيخ الألباني ضعيف في كتاب ضعيف الترغيب والترهيب كتاب الصدقات باب الترغيب في إطعام الطعام وسقي الماء والترهيب من المنع حديث ٥٦٧.

هذا التقدير يكون معني الآية الزجر عن البخل بهذه الأشياء القليلة، فإن البخل بها يكون في نهاية الدناءة والركاكة، والمنافقون كنوا كذلك لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ [1] وقال: ﴿مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ [2]

قال العلماء: ومن الفضائل أن يستكثر الرجل في منزله مما يحتاج إليه الجيران فيعيرهم ذلك ولا يقتصر على الواجب.

القول الثالث: قال الفراء سمعت بعض العرب يقول "الماعون" هو الماء وأنشدني فيه: يمج بعبره الماعون مجا.

ولعله خصه بذلك لأنه أعز مفقود وأرخص موجود وأول شيء يسأله أهل النار الماء كما قال تعالى: ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ [3] وأول لذة يجدها أهل الجنة هو الماء كما قال عز شانه: ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[4]

القول الرابع: "الماعون" حسن الانقياد يقال رض بعيرك حتى يعطيك الماعون أي حتى يعطيك الطاعة وأعلم أن الأولى أن يحمل على كل طاعة يخف فعلها لأنه أكثر فائدة.[5]

هذا ومما تقدم ذكره من أقوال المفسرين يتضح أن المراد بـ" الماعون" هو الزكاة حيث ذكرت عقيب الصلاة، أو أنه كل ما يتعاوره الناس فيما بينهم، ولا يستغني عنه الغني أو الفقير أو انه يشمل كل ما كان فيه منفعة وطاعة تعود على الإنسان بالخير لأنه من باب

---

(1) سورة: النساء – الأية: ٣٧

(2) سورة: القلم – الأية: ١٢

(3) سورة: الأعراف – الأية: ٥٠

(4) سورة: الإنسان – الأية: ٢١

(5) تفسير الفخر الرازي جـ٣٢ ص١١٥، ١١٦.

التعاون على البر والتقوى كما أمر رب العالمين فقال عز شانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىَ وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [1] وإلى هنا أكون قد عشت مع تأملات في سورة الماعون

وبعد هذه المعايشة لا يسعني إلا أن احمد الله في الختام كما حمدته في البدء ثم أقول هذا هو قدر جهدي، وقلة بضاعتي، فإن كنت قد وفقت فمن الله وحده التوفيق... وإن كانت الأخرى فحسبي أني بشر، والبشر من شأنه الخطأ إلا من عصم الله.

ثم أرحب وأشكر كل من يتقدم إلى بنصح أو إبداء رأي والعلم رحم بين أهله واختم هذه التأملات لهذه السورة الكريمة بالدعاء الذي ختم به الإمام الرازي حيث جاء فيه:

(إلهنا هذه السورة في ذكر بعض صفات المنافقين والسورة التي بعدها في صفة سيدنا محمد -ﷺ- فنحن وإن لم نصل في الطاعة إلى مقام سيدنا محمد -ﷺ- وإلى أصحابه لم نصل في الأفعال القبيحة إلى صفات المنافقين فأعفوا عنا بفضلك يا أرحم الراحمين و -ﷻ- وصلى الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم). [2]

---

(1) سورة: المائدة - الأية: ٢

(2) تفسير الفخر الرازي جـ٣٢ ص١١٦ بتصرف.

المراجـــع

القرآن الكريم جل من أنزله

١- أحكام القرآن لابن العربي ط، دار الفكر العربي.

٢- إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ط، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم للإمام أبي السعود ط، دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان.

٤- أسباب النزول للسيوطي ط، دار المنار بالقاهرة.

٥- أسباب النزول للواحدي ط، مكتبة الجمهورية العربية بالقاهرة.

٦- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ط، المكتبة الثقافية، بيروت.

٧- التبيان في إعراب القرآن للعكبري ط، المكتبة التوفيقية، القاهرة.

٨- التبيان في تفسير القرآن للطوسي ط، دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان.

٩- التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي ط، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان.

١٠- التفسير القرآني للقرآن للشيخ عبد الكريم الخطب ط، دار الفكر.

١١- التفسير الكبير للإمام الفخر الرزي ط، دار الكتب العلمية طهران.

١٢- الحاشية لمحي الدين شيخ زاده على البيضاوي ط، المكتبة الإسلامية، تركيا.

١٣- الظلال للشيخ سيد قطب ط، دار الشروق.

١٤- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ط، النهضة بالرياض.

١٥- المصباح المنير للفيومي ط، دار المعرفة بيروت- لبنان.

١٦- المعجم الأوسط للطبراني ط، دار الكتب العلمية بيروت — لبنان.

١٨- المعجم الوجيز مجمع اللغة العربية ط، وزارة التربية والتعليم بالقاهرة.

١٩- المفردات للراغب ط، دار المعرفة، بيروت — لبنان.

٢٠- الموطأ للإمام مالك ط، المكتبة الإسلامية.
٢١- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.
٢٢- أهداف كل سورة للدكتور عبد الله شحاته ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
٢٣- تتمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي ط، مكتبة ابن تيمية بالقاهرة.
٢٤- تفسير ابن جرير الطبري ط، دار الريان بالقاهرة.
٢٥- تفسير ابن كثير ط، دار المعرفة، بيروت — لبنان.
٢٦- تفسير الألوسي ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
٢٧- تفسير البحر المحيط لابن حيان ط، النصر الحديثة بالرياض.
٢٨- تفسير البيضاوي ط، دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان.
٢٩- تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ط، الدار التونسية للنشر، تونس.
٣٠- تفسير الجلالين ط، دار إحياء التراث العربي بيروت- لبنان.
٣١- تفسير الخازن ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت -لبنان.
٣٢- تفسير الكشاف للزمخشري ط، دار المعرفة، بيروت — لبنان.
٣٣- تفسير النسفي ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت — لبنان.
٣٤- تفسير الوسيط لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي.
٣٥- تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري ط، الريان هامش الطبري.
٣٦- سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ط، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، بالرياض.
٣٧- سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني ط، مكتبة المعارف النشر والتوزيع، بالرياض.

٣٨- سنن أبو دود ط، دار الحديث، بالقاهرة.

٣٩- سنن ابن ماجه ط، دار الفكر ، بيروت — لبنان.

٤٠- سنن النسائي ط، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان.

٤١- صحيح البخاري ط، البهية، بالقاهرة.

٤٢- صفوة التفاسير للشيخ الصابوني ط، دار الرشيد، سوريا.

٤٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري ط، الريان، بالقاهرة.

٤٤- فتح القدير للشوكاني ط، دار الفكر، بيروت — لبنان.

٤٥- لسان العرب لابن المنظور ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت — لبنان.

٤٦- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ط، دارئة المعارف، بالهند.

٤٧- مختار الصحاح للرازي ط، دار الحديث، بالقاهرة.

٤٩- مسلم بشرح النووي ط، دار المعرفة، بيروت.

٥٠- مسند الإمام احمد ط، دار الفكر المكتب الإسلامي.

٥١- مسند البراز ط، مؤسسة الرسالة.

٥٢- مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني ط، الحلبي.